

روايات مصرية للجيب
زهور
97
اغفر يا قلب
Looloo
www.dvd4arab.com

هذه السلسلة ..

عندما تتحوّل حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..
وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..
يتوق قلب كل منا إلى الحبّ .. الحبّ الذى يروى هذه المشاعر . فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب .. وفى لحظات الكراهية .. وفى لحظات الجفاف .. فتشيع عبيرها الفوّاح في ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ـ العـــودة ..

وقف (يوسف) متردداً فى الدخول ، أمام الحجرة التى تحوى مكتب (ونام) .. أحكم قبضته على الحقيبة الصغيرة التى يحملها ، وكأنها على وشك الهرب منه ..

فكّر فى أن يعود من حيث أتى وحرك قدميه فى قلق .. فى النهاية حسم تردده ، ودخل مفكّرًا ، فى أنه لا شىء لديه ليخسره ، سوى الأمل الضعيف الواهن ، الذى يداعبه من وقت لآخر.

أما إذا نجح فى مهمته ، فإن لديه الكثير ليربحه ..

استقرت عينا (يوسف) على (ونام) تراقبها ، وهو يتقدم بخطوات قصيرة ثابتة ـ برغم ارتجاف قلبه ـ نحو مكتبها..

وقف أمام المكتب منتظرًا أن تلحظه ، لكنها لم تشعر به ، كانت منهمكة كليًا فى عملها ..

أراد أن يقف لفترة أطول ليشبع عينيه منها ، لكن قلبه آلمه ..

لم يتحمل عذاب كُرهها له ..

لم تَعُدْ تريده ..

إنها لم تعُد له ..

رفع الحقيبة التى يحملها ، ووضعها أمامها على المكتب ، انتبهت (وئام) فى هذه اللحظة ، ونقلت عينيها فى بطء من الحقيبة إليه ، وهى مندهشة ..

حملت عيناها إليه أحاسيس شتى زادت من ارتباكه الداخلى. خفض (يوسف) بصره ، وأسرع بالكلام قبل أن تخونه شجاعته :

ـ تفضّلى ..

أشار لحقيبة تركها من يده على المكتب ، وقال :

ـ هكذا يكون حقك وصل إليك ..

رفع عينيه ليختطف نظرة إليها قائلا :

ـ وأكون أنا قد أرضيت ضميرى ..

قال كلماته واستدار مغادرًا ، محاولاً أن يكون هذا بأكبر هدوء ممكن .. تمالكت (وئام) نفسها من الصدمة .. وأخذت شهيقًا قويًا ردًا على إحساسها بأنها لم تتنفس منذ لحظة دخوله .. وقامت تناديه :

ـ انتظر .

لم يستدر ، واستمر فى طريقه ..

برغم أنه أراد أن يقف ..

ويستدير ..

ويرد عليها ..

يكلمها ويسمعها ..

لكنه لم يستطع ، مضى وكأنه لم يسمعها ، شعر أنه لن يحتمل النظر إليها مرّة أخرى .

حملت (وئام) الحقيبة ، وذهبت خلفه مهرولة لتلحق بخطواته الواسعة دون أن يعنيها إن كان لم يسمعها فعلاً أو أنه يتجاهلها فى بساطة .. لم تتوقف لتفكر ..

لم يكن قد ابتعد كثيرًا ، وبمجرد أن اقتربت منه وضعت يدها على كتفه تستوقفه .. لم يكن لديها استعداد لنطق اسمه ..

(يوسف) الذى لم يسمع وقع خطواتها خلفه من كثرة انشغاله بالفرار ، كان يعلم جيدًا ملمس هذه الكف التى بالكاد لامست كتفه ..

لم يجد بدا من مواجهتها فاستدار إليها ..

نظر إليها .. ونظرت إليه .

كانت نظراته تقول الكثير .. ولم ترغب هى فى الدخول مع عينيه فى حديث بغير طائل لها .. فركزت بصرها على الحقيبة بيديها وسألته :

ـ ما هذه الحقيبة ؟؟!

ـ إن بها حقك .

رفعت إليه نظرة فارغة ، فأخذ الحقيبة من يدها وفتحها ليريها ما بها .. كان بداخلها حزَمٌ نقدية قليلة لكنها من فئة كبيرة ولكنها قالت :

ـ يا إلهى !!

فزعت (وئام) ، واستندت إلى الحائط ، ثم أفاقت لنفسها وأسرعت تخطف منه الحقيبة وتغلقها وهى تتلفت حولها ، داعية اللّه ألا يكون أحد قد رأى ما حدث :

ـ هل جننت ؟؟!

قالتها بصوت غير مرتفع لكن شديد الغضب ..

تأملها مندهشًا من رد فعلها العصبى المبالغ فيه ولم يرد ..

نظرت له فى نفاد صبر ، وهى تمد يدها له بالحقيبة نادمة على أنها أخذتها من يديه :

ـ خذها واذهب .

صرفته دون أدنى اهتمام بأصول اللياقة ، لم يسمح لطريقتها فى الكلام بإثنائه ، وقال :

ـ لا .

قالها ببساطة .. لكن بتصميم واضح .. أشار إلى الحقيبة فى يديها وأكمل فى هدوء :

ـ الحقيبة معك .. وهذا مكانها الصحيح ..

نظر فى ساعته ، وقال :

ـ أستأذنك لأن لدى موعد مهم .

استدار ذاهبًا فأسرعت تستوقفه :

ـ انتظر .. إما أن تأخذ الحقيبة ، أو ....

سكتت تفكرٌ واستدار هو لها متسائلاً عن كنه الخيار الذى ستعرضه عليه .. أو التهديد الذى ستلقيه فى وجهه :

ـ .. أو انتظرنى لنذهب ونتحدث فى مكان آخر غير هنا .

قالت العرض ، وكأنها قد تسحبه مرّة أخرى ، أراد إبداء موافقته على الفور ، وكادت أن ترتسم على شفتيها ابتسامة ، لكن ما قالته بعد ذلك بسخرية لاذعة منع الابتسامة قبل أن تظهر :

ـ دعك من موضوع الموعد المهم الذى تدعيه .

قست نظراته .. كانت تتهمه بالكذب ولم يكن هذا جديدًا منها لكن هذا لا يمنع من أن كلامها آلمه ، فقال :

ـ لدى موعد بالفعل .. لكنى مستعد لتأجيله إذا كنت على استعداد لمقابلتى والكلام معى .. لقد أتيت وانصرفت مسرعًا كى لا أثقل عليك بوجودى .

ابتسم ساخرًا ، وهو يكمل :

ـ خاصة وقد أفهمتنى بأوضح ما يمكن آخر مرّة أنك لا تريدين رؤيتى مرّة ثانية .

لم تعجبها السخرية فى كلامه ، وكأنه يلمح إلى أنها غيّرت رأيها ، فسارعت تنفى هذا الخاطر من ذهنه ، قائلة :

ـ أنا لم أقل إنى أريد مقابلتك .. لكنك مصمم على ترك هذه الحقيبة لى ، فأقل شىء هو أن نتكلم .

فهم (يوسف) الرسالة التى أرادت إبلاغها له ، فقال :

ـ لا تخافى .. فأنا لم أخطئ ، وأعتقد أنك أردت رؤيتى .

أخذ الحقيبة منها ورفع سبابته ، وهو يقول مهدّدًا :

ـ لكن إذا لم تأت سأعود ، وأتركها على مكتبك .

لم يكن من حقه أن يهدّدها بأى شىء ، أو يملى عليها أوامر لكن حضوره صدمها ، وجعلها غير قادرة على استجماع أفكارها .

حدّق (يوسف) بها ليرى رد فعلها على كلماته ، ولمّا أيقن أنها استوعبت تهديده ، أكمل قائلاً :

ـ سأذهب إلى الكافيتريا القريبة .. أعتقد أنك تعرفين مكانها .

نظرت إليه متألمة من اختياره لهذا المكان بالذات ..

بالتأكيد كانت تعرفها وتعرفها جيّدًا أيضًا ..

كم مرَّة التقت به فيها .

كم من الأحلام شهدت عليه ..

أومأت له فى بطء ، وتركته لتستأذن فى الانصراف من العمل ، وذهب هو ليجرى مكالمة تليفونية ؛ ليؤجل الموعد الذى لم يكن على أى قدر من الأهمية الآن ..

ليس أهم من رؤيته لها ، والحديث معها ، على كُلِّ الأحوال .

إن إحضاره للنقود لم يكن ألا حجة لرؤيتها ..

نعم .. أراد توصيل النقود لها ، لكن هناك أكثر من طريقة ليفعل ذلك ، دون أن يقابلها لو أنه يريد ..

لكنه كان يتمنَّى أن يعود ، يملى عينيه منها ..

يسمع صوتها وهى تتحدث معه للحظات ، ولو بالتعنيف ..

كان هذا أقصى ما يتمناه ، لكنه نال أكثر مما تمنَّى ، فها هى تريد لقاءه وأيًا كان المبرر الذى دفعها لهذا الطلب ، فقد كفاه قبولها للقائه .

★ ★ ★

تعمَّد (يوسف) ألا يختار مائدتهما المعتادة ، واختار أخرى فى مواجهتها ، جلس ينتظرها .. عندما دخلت راقب عينيها وهى تتجه لمائدتهما المعتادة ، ورأى فيها ومضة ألم مرَّت سريعًا حتى إنه شك فى حدوثها ..

دارت بعينيها تبحث عنه ، فوجدته بسهولة فى القاعة شبه الخاوية من الناس .. تأملها وهى قادمة نحوه .. لم تتغيَّر كثيرًا ، لم تتغيَّر أبدًا ، فكَّر ثم تراجع ما عدا أشياء قليلة .. ربما بدت كامرأة عملية ..

أو ربما بدت أكبر سنًا وأكثر تجربة .. كان هناك جدية فى هيئتها لم تكن موجودة فى الماضى .. فى الماضى تنهَّد وهو يكرر الكلمة فى عقلة .. هكذا أصبح الحديث عنها ..

حديث عن الماضى والذكريات ..

شعر بألم فى صدره وهو يتذكر كيف كانت ، كانت كزهرة ربيعية متفتحة تنشر أريجها فى كل مكان ..

البسمة لا تفارق شفتيها ، حتى ملابسها كانت ذات ألـوان زاهية جميلة ..

النظر إليها فى حدّ ذاته كان بهجة لا تُعَادلهُ بهجة .

سرح فى التفكير وتنهَّد متحسرًا .. بمجرد أن وصلت (وئـام) إلى المائدة التى يجلس عليها .. أسندت كفها عليها قائلة :

ـ ماذا تقصد بما فعلت .. هل تريـد تعريضـى لتهمـة تقاضى رشوة ؟

ابتسم رغمًا عنه من انفعالها ، وقال :

ـ اجلسى من فضلك واخفضى صوتك .. فلو أن هذا ما يخفيك فلا داعى لإسماع كافة الموجودين أنى بصدد إعطائك رشوة .

التفتت حولها ، لم يكن هناك روَّادًا كثيرين بالمكـان ، ومـع ذلك جلست ، خفضت صوتها ، وهى تعيد كلامه دون أن تصدق أذنيها :

ـ أنت بصدد إعطائى رشوة ؟؟؟!!

ـ هذا ما تقولينه أنت .

أجابها متعجبًا من أن يخطر ببالها هذا الأمـر .. ثـم منـذ متى وطبيعة عملها تحتمل أخذ رشوة ؟ فتساءل :

ـ لِمَ يتم رشوتك باللّه عليك ؟!

فهى ـ إذا لم تخنه ذاكرته ـ تعمل موظفـة بشئون العاملين بإحدى الشركـات الخاصـة ، ولم يكن هنـاك أى سبب يخطـر فى ذهنه ليتم عرض رشوة عليها ..

ساد صمت لدقيقتين قبل أن ترد ، قائلة :

ـ لا يوجد عمل يخلو من الرشوة الآن .. كان شكلك ملفتًا جدًا ، وأنت تدخل وتترك الحقيبة على مكتبى .

شعر أن حديثها غريب .. نظر إليها مبتسمًا من كلامهـا ولم يستطع مقاومة أن يسألها :

ـ ملفت لمن ؟؟

ارتبكت قليلاً ، وقالت :

ـ لزملائى طبعًا .

تذكر ما حدث بوضوح .. كـان كل مـن زملائهـا الثلاثـة الذين يشاركونها حجرة المكتب مشغولين فى شىء ما ، ولـم ينتبه أيًا منهم له .. ولكنه أدرك عقم المجادلة فى الأمر مـع إصرارها عليه ، فتمتم رغمًا عنه :

ـ لا بأس .

رفع الحقيبة ، وأكمل :

ـ خذيها الآن .. لا أحد من زملائك هنا .

نظرت (وئام) إلى الحقيبة ، وكأن بها مرضًا معديًا ، أو كأنها حيـوان سينقض عليهـا ويفتـك بهـا فى أيـة لحظـة ..

شعر بالضيق من رد فعلها ، وقال :

ـ ماذا بك ؟ هذا حقك .. وأنت تعرفين ذلك ..

سكت للحظة .. ثم أكمل متمهلاً وهو يركز نظرته عليها .

ـ لو ما زالت تذكرين شيئًا عنـا ولم تمحى كل شىء مـن ذاكرتك ..

بادلته النظرات ، كان يكرر كلامها : سأمحو كـل شىء عنـا من ذاكرتى .. كان هذا نص كلامها .. وتذكرته بدقة ..

عندما قالت له هذا ، كان رده أنها لـن تستطيع .. وقتهـا عاندت ، وأكدت له أنها ستفعل وبكل بساطة ..

فى الحقيقة لم تستطع ، تمنّت من كل قلبها أن تكون هـذه الكلمات قد تحققت ، لكنها لن تعترف بهذا له الآن .. تجـاهلت كلامه ، وسألته متصنعة عدم تذكر أى شىء :

ـ أى نقود تلك ؟ وأى حق ؟!

ـ نقودك .. نصيبك من شركتنا .

ـ أنت تعرف أنه لم يكن هناك ثمة شركة ..

نظر لها مستنكرًا كلامها ، فعادت تؤكد كلامها :

ـ نعم لم تكن شركة .

علت صوتها نبرة حزينة وامتلأت عيناهـا حزنًـا .. كـانت تتذكر جيدًا هذه النقود ، ومعظمها كان ثمن الشقة .

شقتهما .. والتى كانت من الأصل من ماله هو ..

جاء يستشيرها ـ بل يطلب قرارها كما قال ـ وقتها ـ هل يقوم ببيع الشقة ويؤجل الزفاف ، ويقوم بإنشاء مشروع ، ثم يُعاود شراء شقة أفضل ، وتكون دفعة أفضل لمستقبلهما معًا ..

أم يتزوجان بمجرد أن يتما التجهيزات بإمكانياته البسيطة .

ترك لها الخيار ..

ماذا كانت ستقول له ؟؟!!

حتى مجرد طريقة نطقه للخيارين ، واضح فيها ماذا يفضل هو ...

شجعته علـى بيع الشـقة ، ليس لأنهـا لـم تكـن راضيــة بإمكانياته ، بل كانت أكثر من راضية ومقتنعة ، وأخبرته بذلك ، لكنها أرادت أن يجد فرصة أحسن .. أحست وقتهـا أن هـذا ما يريده هو ، فلم ترغب فى تقييده ..

كما أنها كانت مؤمنة به ، وبقدراته .

وأفكاره ..

وعزيمته ..

شجعته (ولم) ، بل أعطته مدخراتها البسيطة التى كانت تنوى المساعدة بها فى تأثيث الشقة ، عاشت أيام البحث الجاد ..

صبَّرته ..

خففت عنه ..

انتشلته من إحباطه ..

أعطته كلَّ الدعم المعنوى الذى يحتاج إليه ، ومشت معه خطوة خطوة .

كاد أن يتراجع مرَّات ، ويترك اليأس يهزمه ، لكنها لم تسمح له ..

دفعته ..

حمَّسته ..

أخبرته أنها على استعداد لأن تصبر حتى يحاول مرَّة واثنتين وثلاثًا .. حتى يستنفد كل المحاولات ..

كانت على استعداد لأن تحارب العالم ، كى لا ترى اليأس والهزيمة فى عينيه .

آهٍ .. وألف آهٍ من عينيه التى كانت تشرق وهى تخبره باستعدادها للانتظار ، وبإيمانها به .

.. وعاد يخبرها أن مدخراتها وثمن الشقة لم يكفيا .. ليس للمشروع الذى يحلم به .. أو على الأقل ليس فى القاهرة ، وقال :

ـ المستقبل للسياحة .. سأذهب إلى الغردقة .. وأنتِ تعرفين أنى عملت بها فترة الإجازة الصيفية طوال سنى الدراسة فى الكلية .

استطردت قائلة :

ـ على بركة اللّه .. اذهب .

تردَّدت كلمة إذهب فى عقلها ، مع الندم على أنها قالتها .. على تشجيعها له على الذهاب .. لكنها لم تكن تعرف ما سيحدث ..

لم تتخيله للحظة .. وأن ما أراده سيكون سبب انفصالهما .. كانت قد شعرت من قبل بإحساس الندم هذا ، لكنها طردته من فترة ، وأخبرت نفسها أنها اكتشفته على حقيقته ، وهذا أفضل من أن يتم الزواج ثم يخونها .

سرحت مع أفكارها فى الماضى .. وكان هو سارح فيها ..

فيما هى عليه الآن ..

فيما فعلته السنة والنصف أو السنتان الماضيتان بها ..

كانت يدها خالية من دبلة الخطبة ، بل كانت خالية تمامًا من أى حلية تزينها ، ووجهها مطفأ ، كذلك نظرة عينيهـا .. افتقدت البريق المعتاد لهما والحماسة ..

والابتسامة ، تلك التى لم تكن تفارق شفتيها كلما نظـرت إليه ..

طوال الوقت الذى حدثها فيه لم يرها تتبسم ولو ابتسـامة صغيرة ، ولو مجاملة للساقى أو لزملائها ، أو لنفسها ..

آلمه هذا أيّما إيلام .

عرف من البداية أن هـذا اللقاء سيكلفه غاليًا .. وسيفتح جروحًا ، لن تغلق وإن كانت قد هدأت قليلاً ..

تكلم فى النهاية :

ـ بل كانت شركة ..

ـ لم تكن ثمة أوراق .

ـ أية أوراق تلك التى تتكلمين عنهـا ؟ لقد كانت كلمتـى لك وكلمتك لى .

«ليته لم يقل هذا » .. هذا ما تمنّته هى ، وما تمنّاه كذلك هو الآخر بمجرّد أن رأى نظرتها له .

نظرات لم يعرف كيف يصفها ، وكأنها حمامة مذبوحة ، تعانى خروج الروح .

خرجت الكلمات من فمهـا بصعوبة ، وهى ترد عليه بعد لحظة صمت :

ـ كلمة شرف .. أليس كذلك ؟!

لم يكن هناك تأنيب فى صوتها .. كما حدث من قبل .. هى لا تؤنبه الآن ، ولكن صوتها الجريح أظهر مقدار عذابها ..

ابتسمت بمرارة ورفعت نظراتها إلى عينيه ..

تشابكت نظراتهما لحظة ..

لم يتحمّل ..

حوّل عينيه متألمًا ..

أغلقهما ، وضغط على أسنانه ..

كان يعرف أن هذا سيكون ثمن لقائه بها من قبل أن يـأتى ، وأتى وهو على أتم استعداد لدفعه .. وأكثر منه فقط لـو أدّى ذلك فى النهاية لعودتها إليه ..

عاد يتجاهل ما قالته ، وسألها :

ـ إذا لم يكن ما بيننا شركة .. فماذا كان ؟

كانت جملة «أخبرنى أنت» على شفتيها ، لكنها منعتها من الخروج .. أرادت أن تنهى اللقاء دون أن تعود للتقليب فى أوراق الماضى ، وقالت :

ـ المبلغ الذى أعطيته لك ـ لو أن هذا ما تقصده ـ كان مبلغًا صغيرًا ، ولم أكن أتوقَّع رده اعتبره ..

رفعت كتفيها وهى تفكِّر « نعم لم أكن أتوقع رده ، نقود كانت تحلم أن تدخل فى تأسيس بيتهما » .

أكملت كلامها بلا مبالاة :

ـ اعتبره هبة .. هدية .. اعتبره أى شىء يرضيك .. أنا لا أريده .

ـ المبلغ الصغير كبر .. كانت شركة ، على الربح والخسارة .. ولا يعقل أن تتحملى الخسارة دون أن تجنى الأرباح .

فكِّرت بمرارة ، لا يعقل أن يحدث هذا ؟؟ إذا لم يكن قد حدث ؟؟ نعم لم يكن من العقل فى شىء .. لكنه حدث ..

تحملت الخسارة ، كل الخسارة .. وهل بعد خسارتها له شىء ؟!

هل يظن أن حفنة المال التى أتى بها ستعوِّضها ؟؟ عن ماذا أم ماذا ؟

هناك الكثير مما فقدته .

سنىَّ الخطبة .

حبها له ..

أحلامها معه ..

أحلامها به ..

ثقتها به ..

بل ثقتها فى الدنيا كلها .

وحتى ثقتها فى نفسها .

نفسيتها التى دُمِّرت .

كلام الناس المقربين قبل غيرهم .

الجرح التى شعرت به ..

جرح كرامتها ، ومن قبله جرح قلبها .

لم يكن باستطاعتها أن تحصى .. بدأت الدموع تتجمع فى

عينها دون أن تشعر ، لكنه هو رآها ، لاحظ أول بوادرها .. وقرَّر أن يفعل شيئًا ما ، عرف أنها لن تغفر لنفسها البكاء أمامه ، وعرف أن دموعها ستمزقه ..

مَدَّ يده وأمسك كفها ، وقال :

ـ أقسم لك ..

تكلم وقلبه ينتفض بين ضلوعه ، لكنها لم تتركه يكمل .. نفضت يدها من يده بقوة وقامت ، قائلة :

ـ تقسم لى ؟!! وهل جرُؤت على قولها ؟

تكلمت فى عدم تصديق .. قام هو الآخر ، وهى تكرر :

ـ تقسم لى ؟!! على ماذا ستقسم ؟ وبماذا ستقسم ؟ وكيف سأصدقك ؟!

خرجت مسرعة ، فتبعها حاملاً الحقيبة واستوقفها محيطًا ساعدها بكفه .. حاولت إبعاد يده فلم تستطع برغم أنها لم تشعر بأنه يمسكها بقوة ، وقالت :

ـ أرجوك .. أنا لا أريد شىء منك .. اتركنى لحالى ..

ـ لن أتحدث لو يريحك هذا .. لكن خذى المال فهو من حقك .

تحدث برقة شديدة لم تهتم لها (وئام) أو تتقبلها :

ـ لا أريد ..

حركت رأسها فى عصبية .. ترك ساعدها ، ثم أردفت :

ـ خذه لنفسك .. احرقه .. ألقِ به فى النيل .

حركت يدها فى الهواء ، وكأنها تلقى بالمال فعلاً ، وقالت :

ـ تصدَّق به .

هدأت قليلاً وتكلمت كأنها وجدت الحل :

ـ نعم تصدَّق به ، فقد يغفر اللّه لك .

ـ أنت تعرفين أنى لم أرتكب إثمًا لأطلب غفران اللّه ..

نظرت له فى قسوة لكن نظرتها لم تهزه .. وبرغم تأكده من أنه لم يذنب فيما فعله ، ولكنه أكمل :

ـ على أى حال إن حدث ، فإنى سأتصدق من مالى .. أما مالك فهو لك ..

التقط أنفاسه فى هدوء ، وأكمل :

ـ احرقيه .. ألقيه فى النيل .. تصدّقى به .

نظرت باحتقار لتكراره كلامها .. فردّ على نظرتها بتحدٍّ :

ـ نعم تصدّقى به ، لعل اللّه يغفر لك .

اشتعلت غضبًا من كلامه ، فصاحت به :

ـ يغفر لى أنا ؟؟!! وماذا ارتكبت أنا لأطلب المغفرة ؟!!

كانا يقفان فى الشارع يتحدثان دون اهتمام للمارّة الذين لفت انتباههم الجدال الدائر .

ـ ألا تعرفين ! حرمتنا من بعضنا .

ـ أنا .. أنا .. من فعل هذا !!!

شعرت بالدوار .. وبأعصابها تحترق ..

ماذا يريد منها ؟؟

أيريد إعادتها لحالة الانهيار التى عانت منها شهورًا ؟؟!

تساءلت فى نفسها وقد ذهلت من جُرأته .. ماذا يريد منها ، وهى بالكاد تحاول استعادة حياتها بعيدًا عنه ..

ألا يكفيه ما فعله بها ؟

أيريد الإجهاز عليها ؟

عادت نبرته ترق ، وهو يقول :

ـ أرجوك .. أعطنى فرصة أدافع عن نفسى .. أشرح لك ما حدث من وجهة نظرى .. اتركينى أحكى لك ما حدث ، واحكمى أنت .. وأعدك أنك لو سمعتينى ثم ظللت على رأيك ، فلن ترى وجهى مرّة أخرى .. أبدًا .

قال الكلمات الأخيرة بتصميم .

لم ترد عليه .. أحس أن عدم معارضتها له تحمل أملاً ، مما شجعه على معاودة الكلام :

ـ أستحلفك باللّه وبكل ما هو غالى لديك .. بما كان بيننا ، لو كان له قيمة وقتها ..

نظرت له وفكّرت فى نفسها .. لو لم يكن له قيمة لما انهارت .

عاود الكلام وهو يراقب نظراتها ، علّه يرى فيها ما يبعث فى نفسه بعض الطمأنينة :

ـ باللّه عليك .. اجعلى هذه آخر مرّة .. لقد مرّت فترة طويلة ، وربما الكلام الآن أجدى من الكلام وقتها .

فكّرت .. معه حق فى أنه قد مرّ وقت طويل .. ومن أدرى منها بطول الوقت الذى مرّ ..

نهار بعد نهار .. وليل بعد ليل ..

فى الوقت ذاته كان (يوسف) يأمل أن تكون نفسها قد هدأت .. متسامحة .. أمنية لم يقلها حتى لنفسه ، فإن له كرامة هو الآخر .. وقد سمح لها بإحراجه مرّة واثنتين ، وتنازل عن بعض كبريائه ، واستسمحها مرّة بعد الأخرى ، لكنها كانت كالصخر الصلد الذى تحطمت عليه كل محاولاته ، وكأنه أمواج هادئة ضعيفة ، أمام صخر صلد ..

ردت عليه بعد تفكير عميق :

ـ ماذا ستقول ؟

لم يتركها تكمل .. فهو يعلم أنها رافضة لأن تسمع أى شىء ، وستعود لتخبره بأنه مهما كان ما يقوله فلن يعنى لها شىء ، ولن يغيّر ما حدث .. لكنها لم تكن هذه المرّة حاسمة فى رفضها .. لمح بعض التردُّد ، فعاد يحاصرها بكلامه :

ـ اسمعينى وحسب .. ماذا لديك أكثر لتخسريه .. اسمعى قصتى من بدايتها لنهايتها .. فإن أقنعك شىء منها فلعله بريق أمل ..

قالها بشىء من التفاؤل ، ثم أكمل فى استسلام :

ـ وإذا لم يحدث ، تكونين قد فعلت كل ما تستطيعينه .. ولو أمام نفسك ..

فكّرت فى كلامه .. ربما معه حق ، وبعد كل هذا الوقت لن تخسر شيئًا من أجل ما كان بينهما ، واستطردت قائلة :

ـ غدًا الجمعة ، اتصل بى بعد غد مساء لأخبرك رأيى .. فأنا الآن متعبة جدًا ، ولا أريد الوقوف فى الشارع أكثر من هذا .

تركت الباب مفتوحًا لنفسها ، كى لا تندم بعد ذلك على أنها وافقت ، أو على أنها لم تفعل .

أثلج الكلام صدره ، وأرضاه أنها لم تسرع بالرفض كالعادة ، وإن أزعجه التعب البادى عليها ، فأسرع قائلاً :

ـ اسمحى لى بالقيام بتوصيلك .

ـ لا .. وشكرًا لك .

عاد يلح عليها قائلاً :

ـ لكنك لست بخير .. سأركب معك التاكسى فقط ، لأطمئن أن شيئًا لم يحدث لك ، وأنك وصلت المنزل بسلام .

كادت تعترض .. فسارع يقول :

ـ اعتبرينى راكبًا آخر .

لم يكن لديها أدنى جهد لمعارضته ، فتركتـه يقتادها إلـى التاكسى الذى أوقفه ، وركب بجوارها ..

فكَّر حائرًا وهو جالس بجوارها ، هل يتركها لتفكِّر علـى مهلٍ ؟

أم يضغط عليها الآن لتوافق على سماعه ؟

فقد تكون هــذه فرصـته الأخيـرة والوحيـدة للحـديث معها !!

كاد يعاود الحديث ، لكنـه أشـفق عليهــا عنــدما أمعن النظر فى وجهها رآها مهزوزة ..

حتى وقت رفضها له ، تكن محطمّة هكذا ..

نعم ، هو على علم بانهيارها لشهور ، لكنه لم يرها منهارة ، ولم يتخيل إلى أى حدٍّ وصلت ..

فدائمًا ما رآها قويه ، ومعتزة بكرامتها وكبريائها .

* * *

سأل السائق التوقف أمام منزلها ، وراقبها حزينًا وهـى تبتعد دون أن تلتفت ولو مرَّة ؛ لتنظر إليه .. لكنها فعلت ، فقط بعد أن دخلت إلـى مدخل العمـارة ، ودون أن يستطيع هـو رؤيتها ..

دققت النظر إليه ، وهو منتظر فى السيارة لترى ملامحـه

مرّة أخرى .. وكأن كل هذا الوقت الذى مرّ عليها معه لم يكفها . كانت ملامحه المحفورة فى ذاكرتها والتى اجتهدت فى محاولة نسيانها قد أوحشتها ..

كان قرارها تمزيق كافة صوره كلها .. حتى التى كانت معه فيها ، بل إنها مزقت صورها التى التقطها هو لها ، وكل صورة حملت ذكرى معه أو مناسبة لهما معًا .. أو حفلة حضرتها معه .. كان قرارًا صعبًا ، لكنها أخذته وحسمته ..

لم تترك صورة واحدة تقع عيناها عليها ..

لم تُخْفِ صورة ..

لم تنس أو تتناسى صورة .. كلها بلا استثناء مزقتها ، ثم أحرقتها ..

خُيِّل إليها وقتها أنها لم تطو هذه الصفحة من حياتها ، بل مزقتها ، وكأنها لم تكن موجودة فى الأصل .

وها هى تعود بعد ما يقرب من السنتين ، تعود لتفكّر

فيه .. تعود لتقرِّر هل يستحق أن تسمعه ؟

ألقت بجسدها المنهك على أول كرسى صادفها داخل المنزل ، وأغمضت عينيها ، وهى تتنفس بملء رئتيها ، محاولة الاسترخاء ، مقرِّرة عدم ترك نفسها تدخل فى مطحنة التفكير الآن .

* * *



٢ـ أول الحكاية ..

جلست (ونام) فى مقعد ذى مسندين ، وتركت نفسها تغرق فى نعومته وهى تنظر إلى (يوسف) الجالس أمامها على كرسى أقل راحة وأعلى من كرسيها ، وهو يستند بمرفقيه على فخذيه ، ويشبك أصابعه أمامه ورأسه منحنى ..

دارت بعينيها فى حجرة الصالون ، التى طالما شهدت زيارته لهم .. لم يجذب نظرها شىء بالتحديد ، فعادت تنظر إليه لكنها لم تحاول النظر فى عينيه ، ولم يحاول هو الآخر مواجهتها ، لم يبد واثقًا فى نفسه كما كان عندما طلب منها أن تسمعه .. ولم تكن هى الأخرى على أدنى قدر من الثقة فى نفسها .. لم تعرف إن كانت قد أخطأت أم أصابت بسماحها له بحكاية ما حدث ..

سألت نفسها :

هل كان فضولاً ؟؟!

« لم يكن كذلك » قررت بحسم ، وإلا لما رفضت سماع أى أخبار عنه طوال هذه المدة ..

الآن هى تريد أن تعرف وبوضوح ماحدث ..

لن تنكر أنها فى بعض اللحظات شكت أن لها يدًا فيما حدث ..

إن عليها ولو القليل من الذنب ، رغم سخافة الفكّرة وبُعدها عن الحقيقة .

طال صمته وبدا مرتبكًا ، ولم تفرح (ونام) لتردده وارتباكه .. جلس أمامها لوقت ليس بالقصير دون قول كلمة واحدة ..

كان من الواضح أنه يجد صعوبة فى إيجاد بداية يحكى منها .. أو كلمات تصف ما حدث .. ولم تشعر هى بأى رغبة فى مساعدته ، أو حتى تعجله .

لكنها رغمًا عنها أشفقت عليه ، وكرهت ذلك .. كرهت أن تدعه يثير فيها أى إحساس سوى الغضب .. والكره .. والرفض .

أرادته مغرورًا ومعتدًا بنفسه .. كما كان عندما أتى إليها أول مرّة ، يخبرها بفعلته بكل بساطة .

أرادته هكذا الآن لتكرهه أكثر .. لاتحب أن تراه مستسلمًا هكذا .

وخرجت منه الكلمات متعثرة :

ـ كنا .. أأ .. كنت ..

أراد البدء من معرفته بها وحبه لها .. من إحساسه بأنها تستحق ما هو أفضل بكثير من إمكانياته المتواضعة .. من الفكرة التى جاءت له بأن يحسن مستقبله ببيع الشقة ، وعمل مشروع قد يؤجل زفافه لفترة ، ولكنه فى النهاية سيعطيه دفعة ، ويجعله أقدر على إسعاد (وئام) .. حبيبته . أراد ذكر كل الأوقات والمشاعر الجميلة التى تقاسماها ، لعلها تشفع له عندها .

لكنه عاد وأدرك عقم المحاولة .

شعر أنه من الأفضل البدء من بعد ذلك كله .. فلو أن لكل ما مرّ عليهما معًا قيمة ، فلعلها باقية كما هى ، لاتحتاج لإظهارها إلا إزالة هذا الحاجز الذى وجد فيما بعد .. عندما ذهب إلى الغردقة ..

بمجرد إدراكه ذلك ، تدفق الكلام من بين شفتيه ، وكل ما حدث هناك يعود إلى ذهنه ، وكأنه يحدث من جديد .

* * *

كان قد ذهب إلى الغردقة قبل بيع الشقة أو ترك عمله بالقاهرة ، وتأملها بنظرة مختلفة .. فهو لم يأت ليعمل بالإجازة الصيفية ، ويستمتع فى وقت الفراغ القليل المتاح ، بل أتى ليبنى مستقبله ،

أو ليبحث عن فرصة لفعل ذلك بمبلغ من المال ، جزء منه سيكون دينًا فى رقبته ، والجزء الآخر كل أحلامه ومستقبله .

درس السوق بتأن ، وفكّر فى المشروع الذى يناسب النقود التى لديه وخبراته ، ورأى أكثر من مكان معروض للإيجار أو البيع .. حاول فعل كل شىء بالصورة الصحيحة .. واجتهد فى البحث حتى وجد ما يريد .

عاد إلى القاهرة ، وقدّم استقالته من عمله ، وباع الشقة ، وأخذ النقود من (وئام) ووضعها مع باقى مدخراته التى كان يستعد لإنفاقها على حفل الزفاف وتأثيث الشقة .. وضعها فى البنك بانتظار سحبها بعد الاتفاق الأخير مع أصحاب الكافيتريا السياحية التى نوى تأجيرها ، وتجربة حظه قبل أن يُقدم على شرائها ..

كان أكثر من حذر فى كل خطوة أخذها .

استرسل (يوسف) فى الكلام ، وهو يحكى لـ(وئام) كيف كانت الأيام الأولى صعبة وكيف واصل الليل بالنهار وهو يعمل فى دأب على تجهيز الكافيتريا واختيار العاملين بها ، استعدادًا لافتتاحها فى أقصر وقت ممكن ، كى لا يتجاوز فترة السماح القصيرة ، التى منحها له أصحاب الكافيتريا ، لينهى عمل التجهيزات دون أن يكون ملزمًا بدفع إيجار ، ويبدأ فى العمل وتحقيق الربح .. لم تكن مهمة سهلة لكنه كان متحمسًا وسعيدًا ببذل أقصى جهد ، ونجح فيما أراد ، وتم الافتتاح ، وبدأ العمل .

لم يسلِّم (يوسف) الإشراف على كل كبيرة وصغيرة، والمساعدة فى كل شىء، بدءًا من التنظيف .. مرورًا بإعداد الطعام والمشروبات والطهى انتهاء بتقديمه إلى الزبائن .. ومرَّت أسابيع على هذا المنوال .

كم واجهته إحباطات .. أيام مرَّت دون عمل .. أو فشل فى إعداد طعام، أو فساده؛ لكنه بدأ يجنى ثمار تعبه، وبدأ العمل يستقر ..

كان يعلم بوجود أيام كساد لا بد أن تمر عليه، كما توجد أيام رواج، واستعد لتلك أكثر من هذه .. وقرَّر التوكل على الله، وشراء الكافتيريا .. وتمَّ له ما أراد ..

كان ما حدث أكبر بكثير من الكلمات التى اختصر بها بضعة شهور من العمل الشاق المتواصل، لكن .. لم يكن لديه أفضل من ذلك؛ ليصف جهده الذى بذله من أجل (وئام)، قبل أن يكون من أجله ..

كانت حياتهم المشتركة وسعادتهما وبيتهما نصب عينيه فى كل لحظة .. حاول أن يشرح لها هذا، وهو يعلم أنها كانت متأكدة من ذلك، وتشعر به وقتها على الأقل ..

أحاديثهما على الهاتف والرسائل التى تبادلاها قصت عليها مقدار جهده، وقصت عليه مقدار تقديرها هذا الجهد ..

* * *

استقر العمل، ولم يعُد يحتاجه كالسابق .. وأصبح هو أكثر ثقة فى العاملين معه، وتفهموا أسلوبه فى العمل ..

وبدأ يشعر بالوحشة وثقل الوحدة ..

بل والغربة، برغم أنه فى بلده ..

شعور قاسٍ .. آلمه .. خنقه .. أضعفه ..

لم يكن له أصدقاء فى الغردقة، والأهم لم تكن (وئام) هنا معه ..

شعر أنه يحتاج لشخص معه يحدثه .. لم تستطع (وئام) القدوم لزيارته، عملها، أسرتها، واعتبارات كثيرة .. حالت دون حضورها ..

والمكالمات - مهما طالت بينهما - قصيرة، لا تكفيه، ولا تشبعه ..

أراد رؤيتها، ليس فى صورة صغيرة أو فى الخيال، بل فى الواقع ..

أراد النظر إلى عينها وهو يكلمها، ويشعر بتجاوبها مع كلماته، ووقع كل كلمة عليها .. شعر بحاجة ملحَّة إليها ..

كان ينظر فى ساعته التى تحيط معصمه باستمرار هدية (وئام) إليه ويتذكر أوقاتهما معًا، فتزداد وحشته، وشعوره بافتقادها ووحدته بدونها ..

كانت هذه الساعة فيما سبق تحسب مواعيد لقائهما ، ولكنها الآن تحسب ساعات بعادهما ، ومعاناة كل منهمـا من البعد والغربة .

المجهود البدنى والعصبى الذى كان يبذله فى العمل ، ويشغله عن أشياء كثيرة أصبح أقل ، ولم يعُد يستنفد طاقته ويرسله للنوم سريعًا ..

وبرغم أنـه كـان ينـام ساعات قليـلة أصـلاً .. إلا أنـه أصبح أرقًا .. أصبح لا ينام تقريبًا ، وزاد هذا من عذابه .

طال نهاره عليه ، وكذا طال ليله .

* * *

أنهى (يوسف) حديثه ، ونظر إلى (ونام) يستطلع انطباعها عما قاله فى قلق ، لكنها لم تظهر أى رد فعل ..

أراد تعاطفها ، ولكنه لم يكن ليحصل عليه .. الآن ..

فى الحقيقة هى تذكر هذه الأيام جيدًا ، وقتها شعرت بالتعاطف معه ، بل وبلوعة عليه .. شعرت بالألم لأنه بعيد عنها لاتستطيع رؤيته ، والتخفيف عنه ، وهى تعلم أنه يكدح ، ويتعب من أجلها ..

بعدها سخرت من سذاجتها .. لم تعُد لتغيِّر مشاعرها بهذه السرعة .

ساد الصمت بينهما ..

نظر (يوسف) فى ساعته ، ظن أن نصف ساعة مرَّت منذ جلس ؛ ليفاجأ بأن أربع ساعات طويلة مرَّت وهو لم يقل شيئًا بعد .. كان الوقت قد تأخر ، وعلم أن عليه الانصراف ، فقال :

ـ سأنصرف الآن .. وآتى غدًا فى نفس الميعاد .

أخذ كلامه صيغة تقرير أمر واقع ، ثم عاد واستدرك .. إذ لم يكن الأمر بيده :

ـ إذا سمحت .

أومأت برأسها وقامت بهدوء ترافقه حتى باب الخروج ، دون أن تنطق بكلمة واحدة ، فودَّعها قائلاً :

ـ إلى اللقاء .

ودَّعها وهو مشتَّت التفكير .. لايعرف إن كان هناك جدوى من حكايته ، أم لا ..

شعر أنه فشل فى إيصال أحاسيسه لها ..

تمنَّى أن يكون أفضل فى المرَّة القادمة ، وعزاؤه أنه سيراها مرَّة أخرى .

أما (وئام) على الجانب الآخر، فقد تجنّبت الحديث مع أمها وأبيها .. ماذا ستقول لهما ؟

تعرف أن أملاً يحدوهما لتعود مرّة أخرى لـ (يوسف) أو على الأقل لطبيعتها .. لم يكن لديها ما تغذى به هذا الأمل .

لقد حاولا الحديث معها من قبل ؛ لكنها لم تستجب لأى محاولات منهما أو من أشقائها أو صديقاتها ..

راقباها تنهار ، وراقباها تفيق من انهيارها ، وتعاود الوقوف على قدميها .. قدما لها كل الدعم المعنوى الممكن .. وتركاها الآن تعود فتخوض التجربة ، لم تكن صغيرة ، وكانا على ثقة بأنها تعرف ما تفعل .

ويا لسخرية القدر .. لم تكن (وئام) على أدنى قدر من الثقة فى نفسها ..

ماذا تريد أن تسمع .. ماذا تتوقع منه ؟

ما الذى تريد منه أن يقوله ؟

ما قاله حتى الآن يرضيها ولكنه مجرّد مقدمة ، تبرير لما سيأتى بعده ، وهى تعرف جيدًا ماذا أتى بعد .. وتعرف أنها ستسمعه غدًا .. ولم تعرف كيف تنتظر الغد ..

إن أرادت انتظاره فعلاً .. كيف تحتمل اقترابه ؟!

منعها الأرق من النوم .. ظلت طوال الليل قلقة تفكّر فى (يوسف) وفى كلامه معها .. فى شكله .. ملامحه .. جلسته أمامها ..

وفى اللحظات القليلة التى نامت فيها أحاطتها كوابيس وخيالات لأشياء فظيعة مرعبة .

* * *

استيقظت (وئام) فى الصباح من نوم مضطرب لمدة ساعة أو أقل وهى فى حالة سيئة .. ولم تذهب إلى العمل .

حاولت تهدئة نفسها أو النوم دون جدوى ، وعندما انتصف النهار ، شعرت أنها لم تعُد تحتمل ، أخذت الهاتف لتتصل به ..

كان عليها أن تفعل .. أو لم يكن .. لم تعُد متأكدة من شىء .

كانت تعلم أن تأجيل سماعها للحقيقة لن يغيِّر مما حدث شيئًا ، بل قد يزيد عذابها ، ولكنها لم تقو على هذا .. شعرت أنها لن تستطيع مواجهته اليوم ، وهو يعترف بخيانته لها ..

أرادت تأجيل سماعها لهذه الكلمات ولو ليوم واحد ، لم تكن لتعود فى قرارها بسماعه .. أم أنها ستفعل ؟!

أدارت أصابعها رقم الهاتف فى يُسر ، دون أن تنتبه إلى أنها لم تنسه ، برغم أنها لم تطلبه من مدة طويلة .. لم تعلم هل هو موجود فى منزل والديه أم لا .. أو ماذا ستقول لمن يرد عليها ..

لم تدر هل هو حظ حسن أم سيّئ ، كون (يوسف) هو الذى ردَّ عليها ..

جفَّ حلقها عند سماع صوته ، ولم ترد على الفور .. أخذت لحظة لتستجمع أفكارها .. وكان عليها قول شىء ردًّا على سؤاله «من يتحدث» .

ـ أنا ..

وعلى الفور ردَّ بصوت ذاهل :

ـ (وئام) ؟!!

هل اندهش لأنها اتصلت ، أم تخوَّف من أن تكون قد تراجعت عن قرارها ، وفضلت فى النهاية ألا تسمع شيئًا ..

هوَى قلبه فى صدره .

قالت فى وهن :

ـ أنا ، لست بخير ..

فسألها فى لهفة وقلق .

ـ ماذا بك ؟!

ـ متعبة قليلاً .

ـ هل ذهبت للطبيب ؟

ـ لا شىء جدِّى .. فقط أريد أن أرتاح اليوم .

شعر بالذنب ، هو السبب فيما هى فيه الآن .. بضغطه عليها أكثر من اللازم ..

فكَّر .. ربما هو يطلب منها أكثر مما تستطيع تحمّله ..

أكثر مما تستطيع أى امرأة تحمله !

بخاصة وهو يعلم أنها مرضت سابقًا بسببه ولم يَرِد أن يحدث هذا مرّة ثانية ، فقال :

ـ سلَّمك الله .

ـ نؤجل ميعادنا ؟

ـ كما تحبين .

لم يطلب منها تحديد ميعاد آخر .. فكَّر .. ربما عليه ترك الأمر عند هذا الحد ، ويتركها تسير فى حياتها ..

لم يقل أى شىء ..

أحس بالوهن الذى ملأ صوتها يسرى فى جسده ، وظلت هى صامته على الطرف الآخر دون أن يستعجلها ..

تكلمت فى النهاية :

ـ لنكمل غدًا .

كاد يطلب منها نسيان الأمر برمّتـه ، لكنه أحجم وأنهى المحادثة بقوله :

ـ مع السلامة .. وألف لا بأس عليك .

ـ مع السلامة .

أغلق السماعة بسرعة قبل أن يقول شيئًا آخر .. أراد أن يصرخ فيها : أحبك ..

أحبك .. ولا أريد لك التألم للحظة بعد الآن ، ولو من أجل أن نعود لبعضنا .. لكن الشجاعة لم تواته ..

شعر أنه أكثر أنانية من ذلك .. إنه يريد حبها ..

يريدها أن تعود له كما عاد هو ..

يريدها أن تنظر فى عينيه ، وتبتسم تلك البسمة الصافية التى طالما اختصته بها .. تلك البسمة التى كانت تملأ شفتيها .. عينيها ، وجهها .. والدنيا من حولها .. من حوله .

أراد أن يصرخ فيها : « أحبك » ..

« انس ما مضى دون أن أحكيه فيؤلمك » .

لكنه لم يستطع أن يقول لها أى شىء ، مدركًا وهن العلاقة بينهما الآن ..

وكأنه يمشى على خيط عنكبوت .. أى حركة خاطئة أو مفاجأة تمزقه .

ومع أن الغد بدا بعيدًا ..

بعيدًا جدًا ..

إلاّ أن بُعده يهون .. ما دام يحمل بعض الأمل .

* * *



٣ ـ محاولة الهروب ..

عادت إلى عملها فى اليوم التالى مباشرة .. ذهبت مبكّرًا عن الميعاد المعتاد .. لن تأخذ إجازة تلو الإجازة ، كما فعلت من قبل .. ولن تستغل كرم مديرها .. وصبرهم عليها أكثر من ذلك .. عملها هو الذى انتشلها من الضياع المرّة السابقة ، وساعدها فى الحفاظ على سلامة عقلها .

لماذا تركت نفسها للدخول فى التجربة مرّة أخرى ؟!!

لماذا وضعت نفسها فى أتون التفكير مرّة أخرى ؟!!

حضر (عمرو) ، زميلها بعد وقت .. نظرت إليه ، كان أول من طلب منها الزواج بعد انفصالها عن (يوسف) بمدة كافية ـ لو أنه هناك بالفعل مدة كافية ـ ولكنها رفضت ليس على الفور كما أرادت أن تفعل فى البداية ، بل أعطت نفسها فرصة ، أرغمت نفسها على الموافقة عليه مبدئيًا ، فلم يكن لديها عذر لترفض ..

كل شىء فيه جيد ومقبول .. تدينه .. أخلاقه .. إمكانياته .. كل شىء ..

لكنها لم تستطع الاستمرار .

لماذا ؟!

هل لأنها فقدت الثقة فى كل الناس .. أو ربما فى حكمها هى على الأشخاص ..

أم لأنها كانت ومازلت لم تبرأ من حبها لـ (يوسف) ..

(يوسف) .. رنّ اسمه فى عقلها .. لماذا فعل ما فعله ؟

لماذا عقّد حياتهما ؟

ربما لو لم تكن ثقتها به مطلقة .. لو لم تكن تحبه بهذه القوة ؟

ربما وقتها لم تكن الصدمة لتزلزلها .. وتهدمها كما فعلت .

لكنه عاد ..

عاد لها بملء إرادته ..

مرّة واثنتين وخمسة ..

يسألها أن تقبل به مرّة أخرى ..

أن تسامحه ..

وماذا تعنى عودته ؟ إن الخطأ خطأه على أى حال ..

وهل لمجرد أنه طلب .. عليها الاستجابة ؟؟

أم لأنها تحبه وتعرف أنه يحبها ..

الحب الأعمى ، تتركه ليتحكم فى حياتها .. أم العقل ؟؟

لماذا رفضت (عمرو) حقيقة .. ألم يكن لأنها لم تتخيَّل نفسها زوجة لآخر غير (يوسف) .. بل لم تتخيَّل مجردُ أن تلبس دبلة خطوبة تحمل اسمًا غير اسمه ، وتربطها بغيره .

طردت الأفكار من عقلها ، وركزت فى عملها فهى على كل الأحوال لم تسمعه بعد لتقرِّر ..

ظلت تعمل حتى بعد وقت الانصراف .. لم يكن هناك سوى العمال عندما غادرت العمل ، عادت إلى المنزل سعيدة بإحساس التعب من يوم عمل طويل ..

أعادها إلى إحساسها بذاتها ووجودها .. قيمتها وقوتها ..

وعندما استيقظت بعد ساعة القيلولة ، شعرت أنها قادرة على مواجهة (يوسف) وما سيقوم بحكايته أيًا كان .. على الأقل هذا ما اعتقدته هى .

* * *

جلس (يوسف) أمام (وئام) ، وهى المجنى عليه ، والقاضى جلس (على كرسى الاعتراف) فكَّر متألمًا ، وهو حاول أن يجد كلمات يبدأ بها من جديد حكايته وأمامه وجه (وئام) الشاحب .. كان استقبال والدتها الفاتر أحد أسباب توتره ، لم يرى الدفء المعهود فى عينيها وكأن هناك جفوة شديدة بينهما ، مع أن علاقته بها كانت أفضل ما يمكن .. علاقة طيِّبة ، وطيدة .

فكَّر (يوسف) فيما سيخبر به (وئام) ، هو يعرفه جيِّدًا ، وإن لم يعرف ماذا سيكون تأثيره عليها .. أسند ظهره إلى الكرسى ، وأرجع رأسه إلى الوراء ، وخفض بصره وشرع يحكى من حيث توقف ، وهو يحاول تناسى وجود (وئام) ليستطيع الحديث .

كان يذكر هذه الليلة بالذات ، برغم أنه من المفترض ألا تختلف عن أى ليلة أخرى مرَّت عليه وهو مسهد أرق .. خرج ليتمشى فى الليل الساهر حتى ساعات الصباح الأولى ، فى الغردقة الجميلة التى يقصدها الناس للاستمتاع من كافة أرجاء المعمورة .. بينما هو لا يستطيع إلا أن يفكِّر فى طريقة تخلصه من ضيقه بالمكان ، الذى حال دون استمتاعه بالهواء العليل ، وظلمة الليل الوادعة التى لا يخترقها سوى الأضواء الخافتة للمحال والكافيتريات .. والهمسات الخافتة التى يتبادلها المارَّة ، فتكسر الصمت وتحيله إلى أنس حميم .

جلس فى إحدى الكافيتريات المنتشرة على شاطئ البحر .. نظر إلى البحر وتأمل حركة أمواجه الهادئة ، وهى تتوالى وتلمس رمال الشاطئ ، وتعود لتنسحب فى روعة .. ألوان البحر الغامقة الغامضة .. اتساعه .. معرفته بعمقه والحياة التى يخفيها .. تأمل كل هذا على مهل .

كانت أضواء الشموع الموضوعة فى زجاجات حول المكان ناعمة ، لدرجة أنها لخفت منه توتُّره ، وأبدلته إحساسًا بالاسترخاء ، وجعلت عقله يهدأ ويترك أفكاره المتصارعة للحظة ..

فى نفس اللحظة التى رأى فيها (كارين) ، كانت جالسة وحدها تطالع كتابًا ، وبجوارها شاب وفتاه أجنبيان يلعبان الطاولة فى استرخاء ، واضح أنه من تأثير صخب يوم طويل .

لم يكن فيها شىء مميَّز ..

كان فى العادة يرى أغلب الأجانب متشابهين ..

مجرَّد عملاء .. زبائن وحسب .. بخاصة خلال تواجده فى الغردقة هذه المرَّة .

فى المرَّات السابقة التى زار فيها الغردقة ، بهر بالأجنبى الشاب العادى ، الذى يلف العالم بحقيبة صغيرة على كتفه ، ومبلغ

نقدى بسيط ، معتمدًا على نفسه ، فتى كان أو فتاة ، وعلى استعداد لأن يعمل أى عمل بسيط ، أو يخيم فى العراء ، من أجل أن يتعرف على العالم من حوله ، ويثرى خبراته ..

أخذ عناوين بعضهم ، ودأب على مراسلتهم ، ثم توقف بعد ذلك عن المراسلة وعن الانبهار .. وبدأت نظرته تختلف لكثير من الأشياء ، فكثير من شبابنا يكافح ، لا ليتنزه ، بل ليعيش .. يساعد نفسه ويساعد أهله .

صدمه كذلك فئة من الشباب ، رأى ما يفعلون فى فترة الصيف ، من محاولة التعرُّف على الأجنبيات ، لإقامة علاقات غير مشروعة .. أو محاولة الزواج منهن على أمل السفر للخارج .. وهو لا ينسى أبدًا (طارق) زميله بوقع منطقه الفظيع فى أذنيه :

- « ولو لم أسافر لبلدها لا يهم ..

يكفى أنه زواج مجانى ..

لن أدفع أبيض ولا أسود .. ولن تقول لك مهر أو شبكة ..

إن أمامى عشرين سنة أخرى ، حتى أستطيع الزواج من مصرية .

ولا أنوى الرهبنة خلال هذه المدة » .

يومها لم يجد (يوسف) ردًا عليه برغم عدم موافقته لـ (طارق) فى أى مما قاله ، ولكنه لو سمع هذا الكلام من أحد الشباب الآن ، فإن لديه أكثر من ردٍّ ، ولن تكون محاضرة فارغة .. بل كلام على أساس مقنع ..

عاد (يوسف) يذكر (كارين) .. ماذا جذبه فيها ؟

وهل انجذب لها من الأصل ؟

كل ما حدث وقتها أنه لمحها وهو يستعرض المكان من حوله .. بعدها أحس أن أحدًا يتفحصه ، حاول التأكد من صدق إحساسه ، فوجدها تنظر إليه ، لم تخفض عينيها أو تخجل ، ولكنها أومأت له برأسها تحييه ..

لِمَ .. لا يعرف .. لكنه ردَّ تحيتها بنفس الطريقة وفى تلقائية .

لم تكن تجلس بعيدًا عنه ، لكنه كان منفصل عن جميع الموجودين باختياره ، أهدأ ركن فى أقصى الكافيتريا ، جلس على المساند المنتشرة على الأرض ، وفرد ساقيه أمامه ، وأسند ظهره على جذع من جذوع النخيل المرصوصة لتحيط المكان .. كان التصميم جميلاً ، يوفر الراحة والبساطة أما السقف ، فيكون من جريد نخل معرش على الطريقة البدوية ..

دخلت مجموعة من السائحين ، وبدا أنهم يعرفون الفتاة والفتى لاعبى الطاولة ، فجلسوا من حولهم ، وأصبح الجزء الذى تجلس فيه (كارين) مزدحم ، وقتها لم يكن يعرف اسمها بعد .. ولكنه عرفه بعد لحظات قليلة ، عندما انتقلت من مكانها لتجلس بجواره فى هدوء ، وهى تحمل معها الكتاب الذى تقرأ فيه ، فاجأته بقولها :

ـ أهلا .. أنا (كارين) .

قالتها بالإنجليزية ، بصوت خافت ، وبلا ابتسامة ، وردَّ عليها (يوسف) بنفس الطريقة ، ومن باب اللياقة :

ـ أهلاً .. أنا (يوسف) .

لم يحاول تجاذب الحديث معها ، برغم وحدته القاتلة ، لأنه لم يرغب فى الحديث مع أى شخص وحسب وإلاَّ لما أعياه إيجاد هذا الشخص .. بل رغب فى الحديث مع (ونام) ، و(ونام) بالذات .

تسلل إلى أذنه صوتها مرَّة أخرى :

ـ إجازة ؟!

هذه المرَّة نظر إلى ملامحها ، بدت فتاة صغيرة ، قدَّر عمرها

بثمانى عشرة سنة أو أقل .. فى الحقيقة كانت أكبر من ذلك ببضع سنوات .. ولم يدر ما جنسيتها ، فلم تكن هناك لكنة محددة فى صوتها ـ مع قلّة الكلمات التى قالتها ـ تساعده على تحديد هويتها ، لم يستطع تجاهلها ، فقد كانت تتحدث بأدب ، فأجاب :

ـ لا .. بل عمل .

ردّت باقتضاب :

ـ وأين تعمل ؟

ذكر لها اسم الكافيتريا .. فقالت :

ـ هل يريدون أحدًا للعمل هناك ؟

لم يكن متأكدًا من رغبته فى تشغيل شخص إضافى ، ولم يعرف هل هى تحتاج للعمل أم ترغب فى التسلية وشغل وقت الفراغ . نظر لها يحاول تقييمها ، بدءًا من الفانلة القطنية ذات الحمالات ، والشورت الذى لا يكاد يصل إلى ركبتيها .. مرورًا بجسدها المائل للامتلاء ، والنمش القليل المتناثر على وجنتيها ، بجوار أنفها المتناغم مع اللون البرونزى ، الذى اكتسبه وجهها من كثرة التعرُّض للشمس هنا بلا شك ..

وبدا شعرها الأصفر القصير مقصف الأطراف على كتفيها ، وقدَّر أن هذا من تأثير ملوحة المياه .

لم يستطع تحديد جديتها فى طلب العمل ، أو صلاحيتها له ، كان الكثيرون من أصحاب المنشآت السياحية يفضلون تشغيل الأجانب لتمكنهم من اللغة ، وشعور العميل الأجنبى بسهولة أكبر فى التعامل معهم ، لكنه شخصيًا يفضل تشغيل المصريين ، قال لها :

ـ مرّى علىَّ فى الكافيتريا وسنرى .

قام ليعود إلى منزله ، فقد فقدت الجلسة سحرها :

ـ وداعًا (كاترين) .

ـ (كارين)

ـ ماذا

ـ اسمى (كارين) وليس (كاترين) .

ابتسم لها دون اهتمام ، وقال :

ـ وداعًا .

ـ حتى نلتقى يا (يوسف) .

فى الصباح كان قـد نسى كل شىء عنها ، وحتى عندما عاد وقابلها عصراً ، لم يتذكر ما إذا كانت ترتدى شالاً قطنياً ذا طباعة يدوية مميزة ، منتشرة على الشواطئ تسمى (تايداى) ، ملفـوف حول خصرها كجيب أو مئزر فـوق رداء سباحة مـن قطعة واحدة .. كانت قد سألت عنه بالاسم فأرشدوها عن مكانـه ، نظر إليها دون أن يعرف سبب سؤالها عنه .. كان شكلها غير مميز ، فغالبية الأجنبيات وحتـى المصريـات ، يمشين مرتديـات شورت قصير أو شال قطنى فوق رداء السباحة المكوَّن من قطعة واحدة أو اثنتين ، أو حتى مستلقيات على رمال الشاطئ بأردية السباحة .

ذكرته هى بطلبها للعمل ..

ربما كان إعطـاؤه لهـا فرصـة عمل مـن البداية كان خطأ هذا ما فكَّر فيه الآن ، وهو يتذكر أن أبسط شـىء هـو كـون أى شاب مصرى أولى بهذه الفرصة ، عاد يتذكرعدم جـدوى لوم نفسه ، فقد حصلت على العمل ، وهذا هو الواقع .

★ ★ ★

تبادل (يوسف) ، و(كارين) أحاديث طويلة عن الغردقة ، وجمال جوها وشواطئها .. كان الشتاء فى أوجه ، ومع ذلك كانت الغردقة غارقة فى جوٍّ ربيعى ساحر ، منعش ممتع .

سألته (كارين) بدهشة حقيقية فى ثالث يوم عمل لها معه :

ـ وكيف حدث أنك لم تغطس حتى الآن ؟

ـ لم أفكِّر فى الأمر .. أنا هنا للعمل .

نظرت إليه بعينين متسعتين ؛ لعدم تصديقها لإمكانيـة وجود مصرى فى الغردقة طوال هذا الوقت ، دون الاستمتاع بالغطس .

فعاد يردُّ مُبتسمًا من دهشتها :

ـ أنا لا أكاد أنزل البحر .

ـ مستحيل .

ـ لا شىء مستحيل .. بدليل أنه حدث .

لقد سمعت قصصًا عـن حدائـق الشـعاب المرجانيـة تحـت المـاء ، والأسماك ، وأسـراب الأسـماك الملوَّنـة الرائعـة ، ورأيت الصور وجننت .. أنا أكاد أفقد عقلـى هنـا ، لأنـى لـم أبدأ فى الغطس ، وأنت تتكلم بهذه البساطة :

ـ عندما أنزل البحر أستطيع مشاهدة الكثير بنظـارة البحـر ، وقصبة التنفس .

ـ لا .. هذا شـىء آخر .. لقد فعلت هـذا ؛ فزادنـى شـوقًا للغطس ، حتى أدخل هذا العالم السحرى ، أن أجد الأسماك والشعاب من حولى .

ـ إن أردت الغطس ، أعرف نادى غطس جيِّد جدًا .

أخذها (يوسف) إلى نادى الغطس .. فى الطريق مدّت يدها تتأبط ذراعه فأبعدها بلطف .. عرّفها (يوسف) على صديقه (هشام) الذى يعمل بنادى الغطس ؛ وتم الاتفاق على التفاصيل ، أشار له (هشام) يستوقفه قبل أن ينصرف :

ـ عرضى ما زال قائمًا .

عرف (يوسف) ما يعنيه (هشام) بذلك ، فقد عرض عليه أخذ دروس أكثر من مرّة ، لكنه كان يرفض دائمًا :

ـ لا أريد أن أكلفك .

ـ أى تكلفة تلك .. أولاً : أنت صديق .. ثانيًا : لقد أحضرت الكثير من .. العملاء .. اعتبرها عمولة .. اتركنا يا أخى نعمل واجبًا معك ، ولو لمرّة واحدة .

ـ سأفكّر .

لوّح له بيده مبتسمًا ، وهو ينصرف مع (كارين) ، التى سألته عن موضوع حديثهما باللغة العربية .. وحكى لها ، فحاولت إقناعه بالاشتراك ليكونا سويًا .

ـ ليس لدىّ وقت .

كذب عليها ، وهو أدرى الناس بأن لديه كل الوقت الذى فى العالم دون شىء يفعله ، وقال :

ـ ليس إلى هذه الدرجة .

ـ الدروس تعنى التزام ، وأنا لا أستطيع الارتباط بشىء يبعدنى عن عملى .

ـ حسنًا ، ولكنى لن أيأس .. على فكرة سأذهب بعد غد فى رحلة سفارى .. لا تقل لى أنك لم تذهب فى رحلة سفارى أيضًا .

ـ فى الحقيقة ذهبت مرّة من حوالى ثلاث سنوات .

ـ أنت معجزة حقيقية .. بما أنك أرشدتنى لنادى الغطس ، اتركنى أدعوك إلى رحلة سفارى .

نظرت إليه فى رجاء ، وقال :

ـ لا أظن ..

ـ طاوعنى لقد ذهبت مرّة فى بداية حضورى ، وأنا متشوقة لتكرار التجربة ، ثم إنها دعوة مجانية .

ـ إذا كان لا بد .. فكل واحد على نفقته .

ابتسمت فى سعادة وصفقت كالأطفال ، وقالت :

ـ معنى هذا أنك وافقت .

هل وافق (يوسف) فعلاً ، لا يعلم ، لكنَّه وجد نفسه بعد يومين وسط الجبال الساحرة فى رحلة استمرَّت ثلاثة أيام متتالية .

امتلأت بالنشاط ، ومناظر الطبيعة البكر الرائعة ، والنوم فى العراء ..

أيام امتلأت بالمرح ، والضحكات ، والمتعة .. وتساءل :

ـ منذ متى وهو لم يمرح هكذا ؟!

فكَّر فى أنه لم يعُد يذكر .. بل فى الحقيقة كان يذكر جيِّدًا .. آخر مرَّة كانت مع (وئام) .. شعر بالذنب ، وأحس أن (كارين) خلال أسبوع واحد بدأت تتغلغل فى حياته ، وتأخذ مكانًا أكثر من حقها بكثير .. شعر أنها تتسلل إلى حياته بالتدريج .. إنها تحاول شغل فراغه ، وملئه بحديثها وأفكارها وتحررها الذى لم يعتد عليه .. لم يكن يشعر نحوها بشىء ، لكن إحساسًا فظيعًا بالخطر تملكه .

استقام (يوسف) فى جلسته ، وفتح عينيه ، ونظر إلى (وئام) فوجد وجهها ممتقعًا .. كانت أنفاسه تتلاحق ، وشعر بأنه بذل مجهودًا شاقًّا لتذكره هذه الأيام ، فقال :

ـ نعم .. خفت ، وفزعت ، وجئت إليك هنا فى هذا المكان .. أعطيت لنفسى إجازة .. وجئت إليك لتساندينى .. طلبت منك أن نتزوج فى الغردقة مؤقتًا .. فالمشروع ناجح والمسألة وقت ، ونستطيع شراء شقة أخرى وتأثيثها .. فماذا كان ردُّك ؟!؟

كانت تذكر هذا الموقف جيِّدًا ، لكنها وقتها ظنته يتدلل عليها .. إن عزيمته قد فترت قليلاً وصبره نفد .. ويحتاج لقليل من التشجيع ، ورفضت الزواج وقتها .. نعم رفضت وهى لا تندم على ذلك .. فبماذا يتهمها ؟ فقالت :

ـ كان اختيارك من البداية أن نصبر ونتحمل .. وتأتى بعد تسعة أو عشرة أشهر من كلامك فقط لتغير كل شىء .. أنت ، وأنت وحدك ، وضعت خطة الثلاث أو الأربع سنوات .

ـ أعلم ، ولكنى لم أستطع .. ربما لم أكن أدرك وقتها الحالة التى وصلت إليها أو خطورتها .. لم أتخيل إلى أين يمكن أن تؤدِّى بى .. لكنى لجأت إليك .

ـ هل كان ما تطلبه منطقى ؟!

قطّبت حاجبيها مندهشة من كلامه ، فقال مندهشًا :

ـ أيجب أن يكون كل شىء منطقيًا ! ألا يمكن أن نعدل الخطط التى وضعناها لأنفسنا .. كنت أحتاجك إلى جوارى .. اشتقت إليك واحتجتك بجوارى .. تحمينى من نفسى .. من ضعفى .

بدأت الدموع تلمع فى عينيه ، واختنق ، وهو يقول الكلمات الأخيرة .. شعرت بضيق فى صدرها ، وألم قوى .. كادت أن تقبل كلامه ، ولكنها انتزعت نفسها من الإحساس القوى به ، وبما عاناه وقتها ، وما يعانيه الآن ، فقالت :

ـ اجعل الذنب ذنبى .. هيًا .. اقلب الأمور .. إذن فأنا السبب .

ـ أنا لا أقول ذلك .. لكنك رفضتنى .

نظرت إليه فى استنكار .. فهو يعرف ، ومتأكد أنها لم ترفضه هو .. فقط رفضت اقتراحه المتسرع .. فأكمل كلامه ، قائلاً :

ـ ربما كان معك حقٌ .. بل إن معك حقًا فعلاً بخاصة وأنت لم تدركى ما كنت فيه .. لكن على الأقل انظرى للأمور من وجهة النظر تلك .. بأن الظروف تجمعت ضدى ، لم يكن بإمكانى البقاء هنا ، وترك الكافتيريا .. نعم .. هى لا تحتاجنى على مدار الساعة ، لكنها تحتاجنى لمتابعتها باستمرار .

أطرق قليلاً ، ثم أكمل متنهدًا .

ـ لم أستطع الزواج بك ، ولا إحضارك للغردقة ، ولو فى نزهة لبضع أسابيع ، كل هذا كان مرفوضًا منك .. ومن العائلة ، ومن التقاليد .. وعلى الجانب الآخر كان هناك فى الغردقة مع (كارين) ، كل شىء ممكن وأكثر .. وبلا حساب .. لو أردت .. لو أشرت .

قامت (ونام) وتركته ..

خرجت من الصالون ، ودخلت حجرتها على الفور دون أن تنطق أى كلمة ، أو تسمح له بقول كلمة إضافية .

لم يكن بإمكانها سماع كلمة أخرى منه أو رؤيته ، شعرت أنه أهانها ، جعلها رخيصة مجرد شىء يمكن استبداله ، أو الاستعاضة عنه بآخر .

مجرد شىء فى حياته ..

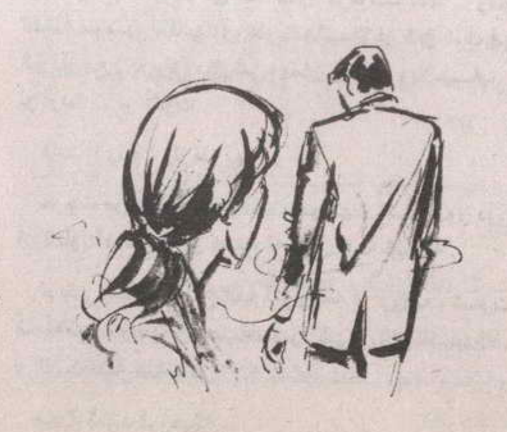
٦٠٥ ـ ٤هد ، عدد ٩٧١/ [illegible]

جلس (يوسف) قليلاً ليتمالك نفسه ، ثم قام وانصرف ..

كان قاسيًا عليها ، وهو يعلم ذلك ..

كل ما تمناه أن تسمح له بأن يأتى ولو مرَّة واحدة .. مرَّة أخرى .. هذا كل ما يطلبه .. لو أن له حقًا فى طلب أى شىء بالمرَّة .

* * *



٤ـ الهذيان ..

تساءل (يوسف) ماذا يفعل ؟ كان ميعاد ذهابه إليها يقترب .. هل يذهب على الفور أم يتصل يسألها ؟ هل يضعها أمام الأمر الواقع فتجده أمامها ! وماذا لو صرفته ؟ أو اعتبرته يفرض نفسه عليها ، ورفضت سماعه تمامًا ؟

فى الحقيقة صمَّمت (وئام) من بداية قبولها لسماعه أن تسمعه للنهاية ، لآخر كلمة لديه يقولها ، طالما قبلت طلبه وأعطته كلمتها .. كان هذا قرارها وقد احترمه والدها ووالدتها ، كما احترما رفضها لسماعه أول الأمر بخاصة مع انهيارها وقتها .. لكن (وئام) اكتشفت أنها لم تعُد على تصميمها بسماعه والحفاظ على كلمتها معه .. ليس من حقِّه أى شىء .. أى شىء .. ردَّدت فى نفسها بألم ، وما زالت آخر كلماته عن (كارين) ترن فى أذنيها ..

عندما أخبرتها أمها أن (يوسف) على الهاتف طلبت منها أن تخبره بأنها مشغولة الآن ، وستعاود الاتصال به فيما بعد ..

ذهبت أمها ، وجلست بجوارها بعد أن نفذت طلبها ، وسألتها :

ـ ماذا حدث يا بنتى .. هل غيَّرت رأيك ؟

ـ أعتقد أننى لن أحتمل .

ـ لماذا ؟ (يوسف) برغم كل شىء إنسان طيِّب .. يكفى أنه باقى عليك ، ولم ييئس بعد كل هذا الوقت .. أليس هذا دليل كافٍ على حبه ؟

ـ حبه ؟!

ـ نعم حبه .. جاء واعتذر مرَّة واثنتين وثلاثة .. أتاك نادمًا ، ماذا تريدين أكثر من ذلك ؟

ـ لم أره نادمًا بما فيه الكفاية .

ـ لماذا ؟ إنها مجرَّد أجنبية ، كما أنه على الأقل تزوجها ..

ـ ماذا تعنين بأنها أجنبية ألا تحسب الزيجة ؟

ـ ليس كزواجه من مصرية .. إنها إنسانة غريبة عن مجتمعنا وتقاليدنا ، ولا بد أنها قد اجتذبته بطرق ملتوية .

ـ وماذا لو لم يكن تزوجها ، ويكذب !

ـ وإن كان .. فما المشكلة ؟

ـ المشكلة .. أمى .. أنا لا أصدق .. إنها خطيئة .

حدثتها أمها بلهجة الرجاء :

ـ إنه رجل لا شىء يعيبه .

ـ رجل ؟! أى مسموح له بمعصية اللَّه ؟

ـ دعينا من هذا الجدال .. لقد تزوجها ، وأنا أصدقه .. وأنت أيضًا لو أنصفت .. صدق (يوسف) ، لم يكن يومًا محل شك أجل .. ولكن هكذا كان إخلاصه لها فكرت (ونام) بمرارة ، وقالت :

ـ خبرينى يا أمى .. لو كنت أنا من فعلت هذا .. وتزوجت أجنبيًا .. ألم يكن ليحتسب هذا الزواج ؟ أكان (يوسف) سيفكر بهذه الطريقة ؟

قاطعتها أمها ، قائلة :

ـ معاذ اللَّه .. لا تنطقيها .

ـ معاذ اللَّه ، ولا أنطقها ؛ لأنى ابنتك أم لأنى فتاة .. أصبح الحلال والحرام مختلفًا عن الصواب والخطأ ، ولكل شىء معياران .. فتاة .. حرام وخطأ ، وشاب .. حرام ولكن ليس خطأ ، فهو رجل .. وتعقيدات أخرى كثيرة لا تفهم .

ـ (ونام) ، حبيبتى .. لقد تزوجها .. وهى مجرد أجنبية ، تزوجها على سنة اللَّه ورسوله ولفترة قصيرة ، ثم أفاق لنفسه ، وطلقها .. واعترف بخطئه ، واعتذر لك بكل شكل ممكن .. هل نقتل من يخطئ .. نقاطعه .. نطرده ليعود إليها .

نظرت إليها (وئام) بعينين حائرتين معذبتين .. وكلمة أمها تتردد فى عقلها «يعود إليها» .. هل من الممكن حدوث ذلك ؟ تساءلت فى نفسها .

يعود إليها ؟!!

ولِمَ لا ، وقد يتزوج غيرها ..

هل ستتحمل ذلك ؟ هل ستطيقه ؟

عادت أمها تحدثها .

ـ الشباب عليه ضغوط كثيرة .. وأمامه مغريات أكثر .. لا يعقل أن نذبح كل من يخطئ ، لن يبقى أحد .

ـ ماذا أفعل ؟

ـ أنت من قرَّر سماعه للنهاية .. وإعطائه فرصة ، فلماذا تتراجعين .

كل كلمة يقولها ..

امتلأت عيناها بالدموع وهى تكمل .

ـ كل كلمة أشعر بها سكين ينغرز فى صدرى .. لا أطيق سماع اسمها .. أو أى شىء عنها .. لا أريد معرفة كيف قابلها أو لِمَ تزوجها أو إحساسه بها .. لا أريد .

ـ كما تحبين .. لا تسمعيه ، ويكفى هذا .

ـ لا أستطيع .. حقا لا أستطيع .. أريد أن أصدق أنه لم يحبها أبدًا .. إنه أحبنى أنا فقط .. إنها كانت مجرد شىء عابر فى حياته ، نزوة ، وانتهت .

فكَّرت فى ألم .. أليس من حقها أن تتمنَّى لو تكون أول إنسانة فى حياته ، كما سيكون هو أول إنسان فى حياتها !

قالت الأم ناصحة :

ـ اسمعيه وأنهى الأمر إذا يا بنتى .. أصلح اللّٰه حالكما ، وهداكما .. اجعلى قلبى يهدأ ، ويطمئن عليك .

أحست (وئام) بأنها أثقلت على أمها .. أمها التى تعذبت معها ولها كل الفترة السابقة ، فأحبت أن تريحها ، فقالت :

ـ حسنًا يا أمى ، سأتصل به .

* * *

رفع (يوسف) سماعة الهاتف فى لهفة ، وبرغم عدم تأكده من اتصال (وئام) لكن كان كله أمل أن تفعل .. لحظة سمع صوتها أيقن أنها ستسامحه ، وأن المسألة مسألة وقت وحسب .. لكنها ما زالت تحبه ، فقال فى لهفة :

ـ سآتى حالاً .

لم يتركها تطلب منه القدوم ، لو لم ترده لما اتصلت .. فكَّر فى ألا يحملها عبء قول الكلمات .. لو استطاع لاتصل هو ، وهو بالفعل منع يده بصعوبة شديدة عدة مرَّات من الإمساك بالهاتف للاتصال بها ، لعلمه بأن هذا ليس من حقه .. وعليه أن يصبر ، أسرع (يوسف) إليها .

هذه المرَّة حملت عينا أمها ابتسامة صغيرة وهى تستقبله .. دخل إلى الصالون فوجدها تنتظره هناك ، حياها فأومأت له دون كلام .. فهم رغبتها فى استكمال الحكاية على الفور .. وانقبض قلبه من وجومها .. أحس أنه أغرق فى التفاؤل عندما اعتقد أنها سامحته .. إذن فلماذا تريد سماعه ؟

أيًا كانت أسبابها ، فقد استحقت فى نظره معرفة كل شىء ، وبدأ يتذكر ما حدث وهو يحكيه ، متمنيًا نسيانه بمجرد الانتهاء من سرده ، والمثل لـ (وئام) ، مع إدراكه لصعوبة تحقيق هذه الأمنية .

* * *

عاد بعد الإجازة أكثر ضعفًا وأكثر رهافة .. إجازة لم يترك نفسه ليستمتع بها ، نزلها لهدف واحد ، ولمَّا لم يتحقق ، عاد على الفور ..

عندما رأته (كارين) أول مرَّة بعد عودته ، جرت نحوه فرحة بقدومه محاولة احتضانه ففرد ذراعيه ، وصدَّها بلطف ، تاركًا مسافة بينه وبينها ، وهو يرحِّب بها ، فمدت رأسها وقبلته على خده قبلة بسيطة ، بالكاد مست شفتيها خده ، وهو يعرف أن الأجانب يتبادلون التحية هكذا ، وكذلك يفعل الشباب المصرى مع الأجنبيات .. لكنه لم يعتد ذلك .. حاول تجاهل الأمر .. «ليست أكثر من قبلة عادية ، ولا داعى لتضخيم الأمور» .. قال لنفسه فى ضيق من انفعاله المبالغ فيه .. ترك الكافيتريا حتى لا يرى (كارين) ، وذهب ليتمشى .. رأى شابًا وفتاه على الشاطئ يتبادلان الحديث فى رومانسية وهيام ، ويد الشاب ملتفتة فى حنان حول كتفى الفتاة وعيناها متعلقتان به ، وكأنه لا شىء آخر فى الدنيا غيرهما ..

لم يكن هذا أيضًا مشهدًا غير مألوف على شواطئ الغردقة ، وفى العادة يدير وجهه كلما رأى مشهدًا كهذا أو أكثر خصوصية ..

لكنه هذه المرَّة (تسمَّر) أمامه .. «كم عمره ؟» تساءل ..

متى سيستطيع ادخار ثمن الشقة مرَّة أخرى ؟؟

ومتى سيتزوج ؟؟

أخذته قدماه إلى الكافيتريا مرَّة أخرى .. تركت (كارين) ما بيدها على الفور ، واقتربت منه فى هدوء ، قائلة :

ـ لقد افتقدتك .. ألم تفتقدنى ؟

كان سؤالها قد ملئ بالمشاعر ، بينما أجاب هو بجفاف وعدم اهتمام ،

ـ بالطبع .

ـ إذن .. فلماذا تركتنى سريعًا ..

نظر إلى عينيها الممتلئتين اهتمامًا ، وردَّ بنبرة أرق :

ـ ألم أعُد ؟!

أمسكت يده ورفعتها ، وهو يراقبها دون اعتراض ، وأخذت كفه الكبيرة ، وأسندت خدها عليها ، ونظرت فى عينيه مباشرة ، وقالت :

ـ (يوسف) أنا أحبك .

جفَّ حلقه .. سحب يده بعيدًا عنها ، لم يرد ..

فكَّر ماذا تريد منه ؟ وإلى أين تريد الوصول بتصريحها هذا ؟

عادت (كارين) تقترب منه ، وسألته :

ـ ماذا بك ؟

ـ لاشىء يا (كارين) أنا متعب قليلاً .. سأذهب إلى منزلى الآن .

حاولت استبقاءه دون جدوى ..

* * *

استلقى على سريره يفكر فى كلمة الحب التى سمعها من (كارين) ، ومن قبلها كل الإشارات الواضحة التى أرسلتها تشعره بمكانته لديها .. وبرغبتها فيه ..

كلمة الحب هذه لم يسمعها من (وئام) أبدًا ..

كان من قبل يرى أن الحياء هو الذى يمنعها ، ولكنه فى هذه اللحظة وبعد عودته من القاهرة ، حاملاً خيبته فى إحضار (وئام) معه ..

رفضها له .. تساءل : هل (وئام) تحبه فعلاً ؟

هل أحبته يومًا .. استمرَّت تحبه .

أيعقل أن تحبه ، وترفض القدوم معه والمعيشة معه ؟

كان غاضبًا بدرجة كبيرة ، ومحبطًا لأقصى درجة ، ويريد أن يفعل شيئًا .. أى شىء ..

يدق الأرض بقدميه حتى تتكسر .. يحطم كل شىء حوله ..

تساءل : لماذا وافقت (وئام) أن يبتعد من البداية ؟ لماذا وافقت على اقتراحه ، وشجعته ، بينما كان الجميع ضده حتى والده ووالدته ..

إذا كانت (وئام) تحبه حقًا ، فلماذا تركته يذهب بهذه البساطة ؟

كان (يوسف) مسترسلاً دون أن يلاحظ انفعال (وئام) بكلامه .. كان متعمدًا ألا ينظر إليها ، لكنها قاطعته بحدَّة ، وهى تشعر أنها لا تستطيع السكوت للحظة أخرى :

ـ هذا بالذات ما أخذته ضدى !!!

صمتت كأنها لا تجد الكلام .. كانت مندهشة .. مذهولة من نظرته الملتوية للأمور والمغالطات التى يسردها بكل بساطة ، قائلة :

ـ وقوفى إلى جوارك ، وتفضيل أحلامك على أحلامنا معًا .. لقد قبلت أن أطيل الانتظار كى لا أشعر أو تشعر أنت أنى حرمتك من أى فرصة .

أكملت بصوت متهدّج :

ـ لم أكن أريد أن أكون قيدًا عليك بأى صورة .. وأنت أخذت هذا ضدى ؟!

حاول أن يتكلم .. لكنها قاطعته ، قائلة :

ـ هل تعرف ماذا قال والدى ووالدتى ؟ ماذا قال إخوتى ، وصديقاتى ؟ هل تعرف مقدار المعارضة التى جوبهت بها موافقتى على بيعك للشقة وتأجيل زواجنا إلى أجل غير معلوم ..

نظرت إلى عينيه تواجهه ، وهى تكمل :

ـ سنوات العمر التى مرّت منذ خطبتنا ، وتلك التى كانت أمامنا لنقضيها سويًا انتظارًا لوقوفك على قدميك ، وادخارك للنقود .. هل تعرف ثمنها بالنسبة لى ؟ كم عمرى ؟

قال ردًّا عليها :

ـ إننا فى مركب واحدة .

ـ لا .. لم نكن كذلك .. فالسنة من عمر الفتاة تحسب عليها .. كل من حولى حذرنى ، وماذا بعد الانتظار سنة بعد الأخرى .. ثم إذا حدث انفصال .. لم أكن أسمع لهم .. لم أصدق أننا قد ننفصل أبدًا .. وحدث الانفصال .. لحظتها نظرت للعمر الذى قضيته معك وفى انتظارك ..

سكتت قليلاً تلتقط أنفاسها قبل أن تكمل :

ـ ومع ذلك ، لم أتمنَّ مثلك لو كنت لم أوافق على بيع الشقة فقد كشف الكثير .. ها أنت تقول الآن أن هذا دليلك على أنى لم أحبك .. معك حق أن تتمنَّى لو كنت أنا أنانية .. كنت تريد أن أكون أنا الطرف الأنانى ، فهذا أسهل .. أسهل من أن تظهر أنانيتك الفجة كما حدث .

ـ لو لم أذهب ربما كنا تزوجنا وأصبح لدينا طفل .

ـ لم أقترح أنا عليك الذهاب ، لقد كانت فكرتك .. ولو كنت رفضت .. كنت ستنظر لى على أنى حرمتك من تحقيق أحلامك ، على أى حال إذا كان هذا رأيك ، وأن المسألة كلها خطئى أنا لأنى وافقتك على مشروعك .. فأسفًا ، وأنا أعتذر لك من كل قلبى .

قالت الكلمات الأخيرة بمرارة .. حزت فى قلبه ، فقال :

ـ (وئام) ، أنا لا أقصد هذا أو أعرف أن هذا غير حقيقى ، لكن وقتها ، بخاصة بعد رفضك القدوم معى ، كان هذا تفكيرى .. الوحدة قاتلة .. الإغراءات من كل جانب وإحساسى بافتقادك ، والحاجة إليك .

ـ وأنا هل كنت حجرًا لا أشعر .. ألم أكن مثلك أو أكثر ؟! فقد زاد على هذا كله إحساسى بالقلق عليك .. كيف تعيش ؟ كيف تأكل وتشرب .. هل ترتاح أم تعمل طوال الوقت ..

ابتسمت ساخرة ، وقالت :

ـ لم أكن أعرف أنك وجدت من تهتم بك وتشغل وقت فراغك ولا داعى لقلقى .

ـ أنا لا ألومك على هذا التفكير الآن .. لكن وقتها ، وأنا هناك .. كانت الهواجس تطاردنى ، ولم تكونى موجودة لأناقشها معك .. كنت غاضبًا ولا أرى .. كأنها هيستريا تلبستنى .. أذكر الأيام التى تلت عودتى جيدًا كأنها حدثت بالأمس .. كنت كالطير الذبيح ، أدور ، وهى تلقفتنى ..

* * *

لم يجد (يوسف) فى نفسه الجرأة ليحكى لـ (وئام) عن الأسبوع التالى لرجوعه إلى الغردقة وعن محاصرة (كارين) له واهتمامها به ، وتقربُها منه ، برغم أنه

تساءل فى نفسه : هل كان باستطاعته المقاومة ؟ وأى شاب هذا الذى لم يكن ليتأثر أو يشعر بالزهو أو الرضى ـ ولو قليلاً ـ من هذه المطاردة اللذيذة .

أى الأيام كان أصعب ؟

عاد (يوسف) بذاكرته إلى دروس الغطس مع (كارين) .. كان ثالث يوم لهما ، وقد تعلما المبادئ الأولية ، وعرفا معدات الغطس ، ونزلا تحت الماء ولكن بالقُرب من الشاطئ وعلى عمق صغير ، ومع ذلك فقد شاهدا أسرابًا من السمك الملون والشعاب المرجانية رائعة الجمال ..

خرج من الماء وأبدل ملابسه وأخبرها أنه مشغول ، عندما سألته إذا كان سيعود معها إلى الكافيتريا .. لم يتبادل معها التعليقات ، عما تعلماه وشاهداه كما اعتادا .. كان يحاول الهروب منها ، ولا يدرى إن كان سيستطيع أم لا ؟

تمشى قليلاً ليبتعد عنها .. ثم قرَّر السباحة ..

ظل يسبح ويسبح ..

تعب ..

استنفد طاقته ..

غلبه الإرهاق ، خرج ومشى فى هدوء إلى شقته واستلقى لينام ..

استيقظ على رنين الهاتف .. لم يعرف كم من الوقت مرَّ عليه ، فسحب سماعة الهاتف وهو مستلقٍ على السرير .

كانت (كارين) على الطرف الآخر ، وقد ملأ القلق صوتها :

- هل أنت بخير ؟

- أجل .

- لماذا لم تأتِ للغداء ؟

استدار ونظر فى ساعته ، اكتشف أنه لم ينم سوى ساعة ونصف .. كان الوقت قد تجاوز الساعة السابعة ، أدرك أنه لم يتناول أى طعام طوال اليوم ، فقالت (كارين) :

- (يوسف) ماذا حدث ؟

- لقد استغرقت فى النوم .

- هل أحضر طعامًا وآتى لنأكل سويًا ؟

امتلأ بالقلق ، فقال :

- لا .. لا داعى .. سآتى أنا لنتعشى فى الكافيتريا .

- لا .. بل نذهب لمكان آخر .. ما رأيك لو نذهب للديسكو ؟

« أى مكان سيفى بالغرض » .. فكَّر (يوسف) ، وقال :

- لا بأس .. أى شىء .

أغلق التليفون ، كان قد ذهب للديسكو مرَّة أو مرَّتين منذ أن أتى إلى الغردقة أول مرَّة ، كان لديه الفضول ليشاهد كل شىء .. ويرى كيف يعيش الآخرين ، ولم يعجبه .. فتوقف عن الذهاب ولم يفكر فى تكرار التجربة .

* * *

ارتدى ملابسه ، ومرَّ على الكافيتريا ليجدها فى انتظاره ، وقد ارتدت فستانًا بسيطًا للسهرة ، لكنه كان تغييرًا كبيرًا فى مظهرها .

شبكت أصابعها فى أصابعه ، وابتسمت له بحنان ، وهما يسيران الهوينى فى اتجاه المكان .

كل نغمة فى كل أغنية سمعها دقت رأسه فى عُنف ..

لم يجد للطعام أى طعم فى فمه ، ورد على كلام (كارين) فى آلية واقتضاب شديدين ، شعر بالاختناق من الأضواء المتراقصة ، ومن مشهد الشباب الذى يتراقص حولها .. فقال :

- (كارين) .

كانت تتابع النغمات ، وقد حاولت أن تجعله يرقص معها ، ولكنه رفض ، أشار إليها بأنه سيذهب ، ولكنها قالت :

ـ انتظر .. سآتى معك .

خرجت معه .. لكنه لم يكن يريدها معه ، كان يريد الانفراد بنفسه .

.. أو ربما كان يريد شخصًا إلى جواره ..

ارتبك تفكيره .. وأحس أنه لا يعلم شيئًا .

انتبهت (كارين) لانشغاله .. فنادته :

ـ جُو .

لم يرد عليها .. شعر بالتعب .. والإرهاق ..

وعدم الاتزان .. لم يكن لديه استعداد لفعل أى شىء حتى مجرد الكلام ..

ولم يعجبه أن تناديه (جو) ، دون أن يهتم بإخبارها بذلك .

كانا يسيران بموازاة البحر ..

سكون البحر التام إلا من ترقرق المياه ، الذى لا يكاد يلحظ جذب بصره ..

انحنى عندما لحظ صخرة صغيرة مفلطحة ، والتقطها ثم قذفها على سطح الماء بطريقة خاصة ، جعلتها تقفز عدة قفزات على السطح الهادئ للمياه قبل أن تغوص فى النهاية .

وقعت الساعة من يده ، وهو يفعل ذلك ، فكّر فى ألم « هدية (ونام) » .. فتحرك دون تدبُر ، وقفز على سور الكورنيش القصير ، ليلتقط الساعة قبل أن تسقط ، وتتحطم .. تعثر وسقط على الجانب الآخر حدث الأمر بسرعة ..

أسرعت (كارين) تخطو فى حذر لتساعده .. كان ممسكًا بجانب وجهه يشعر بألم فظيع فى رأسه ، ومرفق يده ، وأحس بلزوجة الدماء الدافئة تحت أصابعه ، فى اليد الأخرى كانت الساعة سليمة فى كفه ، وأسعده أنها لم تتحطم ، فسألته :

ـ هل أنت بخير ؟

سألته (كارين) دون أن تحاول تحريكه ، خوفًا من أن يكون هناك كسور أو إصابات داخلية ، لكنه حاول القيام على الفور ، فشعر بدوار وهبوط شديدين ، فأجابها :

ـ أنا بخير .

لم يكن صوته ثابتًا ، فساعدته على القيام وأسندته ، قائلة :

ـ انتظر ، سأساعدك .. لا تقفز مرّة أخرى .

مشيا قليلاً قبل أن يقابلا فتحة يخرجان منها ، فقالت :

ـ سأذهب بك إلى المستشفى .

ـ لا أريد .

قالها وهو يهذى ، فقالت له :

ـ يجب أن تعالج .

ـ سأعود إلى منزلى .

ـ هل لديك إسعافات أولّية حتى .... ؟!

ـ أريد العودة إلى المنزل .

أدركت (كارين) عدم اتزانه ، فقررت فعل الصواب من وجهة نظرها .

أخذته إلى حجرتها لتداويه ..

أجلسته على السرير ، ذهبت لتحضر أدوات الإسعافات الأولية .

كان الألم يعصف برأسه ، ويشوش تفكيره ، وشعور بالخدر يملأ جسده ، يكاد يعجزه عن الحركة فاستلقى .

عادت إليه ، وبدأت تطهر الجرح الذى آلمه قليلاً .. ثم جففته قبل أن تدهن القليل من الكريم العلاجى ، والذى شعر به كالثلج

على الجرح الساخن ، قبل أن تضع الضمادة ، وتلصق أطرافها بالبلاستر الطبى ..

تركته وأعادت كل شىء مكانه ، وغسلت يديها ..

أحضرت زجاجة عصير ، وجلست بجواره ، وأسندت رأسه بلطف على ذراعها ، وسقته القليل من العصير .

بدأ يستجمع أفكاره .

قال بصوت واهن .. ضعيف :

ـ (كارين) .

ـ نعم .

ـ هذا ليس منزلى .

ـ إننا فى حجرتى .

بلل شفتيه السفلى الجافة بطرف لسانه ، قبل أن يقول فى عدم تركيز :

ـ هذا خطأ .

ـ ولِمَ ؟

لم يكن فى حالة تسمح بالمجادلة ، أغلق عينيه ، وتنفس فى عمق .

- (كارين) .. خذينى إلى منزلى .. أرجوك .

لم ترد الإلحاح عليه ، وقالت :

- كما تحب .

ساعدته ليجلس على السرير مرةً أخرى ، وجلست إلى جواره ، وأخذت ذراعه ليستند على كتفيها ، وأمسكت بطرف يده ، بينما لفت ذراعها الأخرى وراء ظهره .

نبهته ليساعدها فى القيام .

التقطت حقيبتها ، وأغلقت باب الحجرة وراءها دون أن تأبه لإحكام غلقه بالمفتاح .

مشت فى خطوات وئيدة وهى تسنده ، وساعدها فى ذلك أن قامتها كانت أكبر قليلاً منه ، وصلا إلى منزله بعد وقت ليس بالقصير .

سألته (كارين) ، وهى تلهث قليلاً :

- أين المفتاح ؟

- معى ..

لم تبدر منه أى حركة لإخراجه ، فقالت :

- أين بالضبط ؟

مدَّ يده فى جيبه الأيمن فلم يجد شيئًا ، وتحسَّس جيب - (التى شيرت) - الذى يرتديه ، وعاد يكرر :

- المفتاح معى .

جعلته (كارين) يعتدل ليستند إلى الحائط فى هدوء بجوار الباب ، ومدَّت يدها تبحث فى جيبه الآخر ، ووجدت المفتاح .

أسندته بطرف يدها ، ومدَّت يديها الأخرى تفتح الباب فى سهولة .. عادت تسنده لتدخله وقد نسيت المفتاح فى ثقب الباب .

كان المنزل بسيطًا ، مكونًا من صالة واسعة ، وحجرة واحدة ، بالإضافة للحمام والمطبخ الصغيرين .

أدخلته (كارين) إلى حجرة النوم ، وأجلسته على السرير بأكثر هدوء ممكن ..

أغمض عينيه على الفور ، وهو يشعر أن السرير يتحرك من تحته ، رفعت قدميه ، وخلعت الصندل الذى كان يرتديه ، لاحظت أن كفه لا يزال ممسكة بالساعة .. حاولت سحبها من كفه ، قاوم قليلاً ، ولكنها استطاعت فك قبضته

ببساطة بسبب التعب الـذى غلبـه ، وتناولت الساعة ، وألقت بهـا بحرص فى درج (الكمودينو) الموجود قرب السرير ، وأغلقته فى هدوء ، وقالت :

ـ (يوسف) أنا خائفة من أن يكون لديك ارتجاج بالمخ .

ـ ماذا ؟!

لم يكن قد سمع هذا المصطلح بالإنجليزيـة من قبل ، فشرحت له حتى فهم ما تعنيه بصعوبة ، ثم قال :

ـ لا توجد مشكلة .

قالها بلا اهتمام ، لكنها ردت عليه فى لهفة :

ـ (يوسف) .. إذا كـان لديك ارتجـاج بـالمخ ، يجب أن تظل مستيقظًا .. لا تنام أرجوك .

ـ كيف ؟

ـ افتح عينيك .

كان هذا صعبًا ، ومع ذلك حاول .. ولكنها قالت :

ـ حدثنى .

ـ عن أى شىء ؟

ـ عن نفسك .

حرك رأسه ببطء ، ومد لسانه يبلل شفته السفلى .

ـ لا أعرف .. حدثينى أنت .

شعر بصعوبة فى أن يتحدث أو يركز فى أى شىء ، فقالت :

ـ وماذا لو نمت وأنا أحدثك ؟

ـ أنا شبه نائم .

وأدركت (كارين) ذلك ، فقالت :

ـ يجب أن تظل عيناك مفتوحتين .

ابتسم قليلاً ، وقال :

ـ قد أنام وعيناى مفتوحتان .

ابتسمت (كارين) .

سكتت قليلاً لتفكر ، ثم قالت :

ـ انتظر .

اعتدلت فى جلستها لترفع ساقها على السرير ، وتكورهـا تحتها ، وتستند بمرفقها على الوسادة .

- سأحدثك فى أى شىء تحبه .. هل أحكى لك قصة .

كان يشعر بحرارة تسرى فى جسده ، فنكر أول ما فكّر فيه :

- حدثّينى عن الثلج .

- تريد سماع قصة بيضاء الثلج (سنو وايت) .

- لا حدثّينى عن الثلج .

كان هذا آخر شىء يذكره هذه الليلة .

* * *



٥ـ آخر الحكاية ..

استيقظ (يوسف) ليجد (كارين) نائمة إلى جواره، قام منتفضًا ، وصرخ مندهشًا :

- (كارين) .

قامت فى هدوء ، وابتسمت له ، وقالت :

- أنت بخير .

- ما هذا الذى فعلتيه ؟

سألته فى اندهاش :

- ماذا فعلت ؟!!

- لقد نمت إلى جوارى .

- أجل .. لقد غلبنى النوم من كثرة التعب .

- لكن هذا لا يصح .

- لماذا ؟!

- ماذا سيقول الناس عنّى ؟ فى مجتمعنا هذا خطأ .

ـ لكنك كنت مريضًا .. تحتاج لى بجوارك .

كانت تتكلم كما لو كان هذا هو المنطق ، وما عداه جنون .. ولكنه قال :

ـ (كارين) .. لا يصح أن تبيتى فى منزلى لأى سبب .

ـ أبدًا .

ـ إلا لو كنت زوجتى .

ـ ألا يكفى أن تكون صديقى (My boy friend) .

ـ لا يوجد شىء كهذا عندنا .

ـ لكنى معجبة بك جدًا ، وأود مصادقتك .

كان قد وقف ، وابتعد عن السرير ، مشت هى بركبتيها على السرير ، واقتربت منه ، فقال :

ـ بالطريقة التى تقصدينها لا .. هذا هو الحرامُ فى دينى .

ـ وما هو التصرف الصحيح .

ـ الزواج ..

ـ إذا كان هذا ما تريده .. فلنتزوج .

كانت تتحدث ببساطة أمسكت يده ، سحب يده ، وقال :

ـ لكن (كارين) .. لا أستطيع .

ـ ولِمَ ؟؟

ـ أنا مرتبط .. خاطب .

ـ وأين هى ؟

ـ فى القاهرة .

ـ ولماذا ليست هنا ؟

ـ أنا فى البداية كنت أعيش هناك .. كما أنها تريد الحياة فى القاهرة .

ـ وعملك ! أستبقى أنت هنا وهى هناك .

ـ لا أعرف .. لقد رفضت المجىء .

ـ وهل ستذهب لتعيش معها هناك .

ـ لا .

ـ إذن ؟؟

ـ إذن ماذا ؟

ـ ستظل هكذا إلى باقى حياتك ؟ مرتبط دون أن تأتى هى للحياة ، معك أو تذهب أنت للحياة معها .

* * *

نظر (يوسف) إلى (وئام) فى حزن ، كانت تبدو مرهقة ، ووجد أنه يكفيها ما قصه من تفاصيل وقرَّر أن ينهى القصة .

«ربما هى لم ترد الزواج منِّى ..

ربما أرادت مغامرةً ..

ربما أعجبها أنى لم أطاردها .. لا أعرف شىء ..

أنا لم أدع أنى (دون جوان) ، ولا كانت هى ملكة جمال ..

كنت محبطًا ، وهى أكثر من راغبة فى ......

توقفت عن المقاومة ، وتزوجتها ..

أو ربما هى التى تزوجتنى ..

لا أدرى لِمَ تزوجتنى .

وبماذا خدعت نفسى وقتها ، لأترك نفسى أنجرف فى هذه الزيجة .

سرت وراء (كارين) .. تزوجتها بدافع الحاجة ..

أو بأى دافع آخر ..

أيًّا كانت الأسباب التى دفعتنى للزواج منها ، فلم يكن فيها سبب وحيد صحيح ، سوى رغبتى فى ألا أغضب الله ..

وافقت سريعًا على أن أتزوج إنسانة لا أحبها ، بشروطها هى ..

هى وحدها .

* * *

كيف مرَّت حياته مع (كارين) فى هذه الفترة القصيرة التى جمعتهما سويًّا دروس غطس وسهرات ، حياةً بدت له حافلة وفارغة فى الوقت ذاته ، حياة لا تناسبه ، كان هناك بعض الزوجات الأجنبيات يساعدن أزواجهن فى أعمالهم .. لكنه لم يحاول تشجيع (كارين) على هذا ، وبدت هى ، وكأنها معه اليوم بيومه دون غد ، ولا أمس ، دون ماضى أو مستقبل .. لماذا شعر بحياته هذه فاترة ، بأن تصرفاتها مبالغ فيها ؟

لكنه تقبلها .. كان هذا اختياره ، لقد اختار أن يتزوجها ، وعليه تحمل مسئوليةَ هذا الاختيار ، أيًّا كانت عواقبه ..

شعر أنه لا يوجد خط رجعة ، فلا يعقل أن ينفصل عنها ، بعدما أضاع (وئام) من أجلها .. نعم هذه حياته ، وهكذا ستسير حتى النهاية ، وعليه تقبلها ، على الأقل هذا ما اعتقده وقتها .

تذكر (يوسف) نهاية قصته مع (كارين) بوضوح تام ، ولم يكن قد مرَّ شهر كامل على زواجهما ، عندما فوجئ بها تلملم ملابسها داخل حقيبتها ، فسألها :

- إلى أين ؟!

- ميعاد سفرى .. كما تعلم .

- لا أفهم ؟!!

- الإجازة انتهت ، وأنا ما زلت أدرس .

- لكنى لا أريدك أن تسافرى .

- هذا لا يغيِّر شىء .

- أنت زوجتى !!!!!

ضايقه تصرفها ، وتجاهلها لحقيقة مسئوليته عنها ، ومسئوليتها أمامه ، فقالت له :

- أنت أردت أن نتزوج ، ولهذا تزوجتك .. لكن ..

لم تكمل كلامها .. فسألها :

- لكن ماذا ؟

- لكن أنت بالنسبة لى صديق .. لقد كانت أسعد إجازة قضيتها فى حياتى .

- إجازة .

حرك رأسه ساخرًا ، وقال :

- وجودى فى حياتك إجازة !

- أنا لم أخدعك بأكثر مما خدعت أنت نفسك .

- أنا خدعت نفسى !!!

- أنت لم تحبنى أبدًا ..

حاول أن يتكلم ، فقاطعته :

- لا تعارض .. ربما لو كنت أحببتنى لاختلف الأمر .

لم يستطع أن يصرَّ على بقائها ، وأن يقول أنه يحبها .. من كان سيخدع .. ولكنه لم يتخيل للحظة أنها تعرف بذلك .. بأن مشاعره مع أخرى قد تكون الآن تكرهه .

اتجهت للباب ، فاستوقفها ، قائلاً :

- وماذا لو كنت حامل ؟

فكَّر فى فزع من احتمال أن تكون (كارين) هى أم أطفاله التى تربيهم ، وتعلمهم .. فقالت :

- لا تقلق ، أخذت احتياطاتى من البداية .

فوجئ بما قالته ، فقال :

ـ هكذا دون أن تستشيرينى .

ـ كنت أعرف أنك قد لا تتركنى أذهب لو أن بيننا طفل .. أو ربما كنت ستأخذه منًى .. هذا أسهل كثيرًا .

فكَّر فى ألم .. إن آخر شىء يريده هو أن يكون له طفل منها ، فقال لها :

ـ من البداية وأنت تخططين لهذا .. من البداية وأنت تعرفين أن الموضوع بضعة أسابيع .. إذن لماذا قلت أنك تحبينى ؟

ـ لقد أحببتك ولم أخدعك .. ربما خدعت نفسى ، عندما ظننت أن حبى وحده يكفى لإقامة علاقة ناجحة .. ربما لو أحببتنى قليلاً ..

حركت رأسها ، وقالت :

ـ إلى اللقاء .. سآتى ثانية ، وسنلتقى .

ـ بل وداعًا .. لن نلتقى ثانية .

كان هذا آخر ما يستطيع (يوسف) أن يقصه من حكايته .. سكت قليلاً .. لكن (وئام) لم تنطق ، انتظرت أن ينهى كل ما لديه .

«تركتنى وأنا أشعر بفداحة ما حدث ..

هذا الموضوع لم يكن بلا ثمن ..

لا .. لم يكن زواجًا بلا ثمن ..

بل كان باهظ الثمن .. سرق منًى أحلى شىء فى حياتى ..

سرقك أنت ، جعلنى أشعر بأنى ملوَّث .. أنا لم أكن فخورًا بما فعلت ..

صدِّقينى ..

طلقتها وجئت .. وأخبرتك .

لكنك لم تستمعى لى .. كان بإمكانى أن أخفى الأمر ، وأنكره ..

أكان هذا أفضل ؟! »

ردَّت عليه بسخرية :

ـ مسكين ..

سكتت تستجمع أفكارها ، قبل أن تكمل ساخرة :

ـ أهذا ما تريد .. أن أقول الآن ، حقًّا أنا أشفق عليك .. أنت لم تخن ، وهى استدرجتك ، وتزوجتك ، وعندما أفقت بعد شهر العسل ، وقد تركتك ، طلقتها .. أليس كذلك ؟؟

ـ لقد تزوجتها .. وأخبرتك بالحقيقة .

ـ وأخبرتنى .. تزوجتها وأخبرتنى .

أعادت الكلام بثورة عارمة :

ـ ولِمَ تنطقهما كأنهما عذران أو سببان لأسامحك .. إنهما خنجران طعنت بهما قلبى ، مزقته إلى أشلاء .

ـ كنت وحدى ..

لم تدعه يكمل حديثه ، قائلة :

ـ وكل مرَّة ستتركك وحدك ، ستتزوج وتخبرنى ، وتطلب منِّى أن أسامحك .. ولِمَ أسامحك ، وأنت لا تظن نفسك قد أخطأت أصلاً .

ـ هذا غير صحيح .. أنا لم أرتكب معصية .

ـ وخيانتك لى .. كيف أثق بك بعد ذلك .. أين احترامى وتقديرى لك ؟

تدافعت الدموع إلى عينيها ، وأجهشت فى بكاء هستيرى وارتعش جسدها ، بل ارتج من كثرة البكاء .

مدَّ يده يحاول تهدئتها ، فأردفت قائلة :

ـ اتركنى .. اتركنى .. وحدى من فضلك .

قالتها من بين شهقات البكاء .. ولكنه رد عليها قائلاً :

ـ سأكتسب ثقتك مرَّة أخرى .. صدّقينى .. أعطينى فرصة ، وسأكتسبها مرَّة أخرى .. اعتبرينى أتقدم لك من البداية ، وضعينى تحت الاختبار .

دأت قليلاً على الأقل فى الظاهر ، وهى تقول :

« (يوسف) .. لا ..

إلا (يوسف) ..

(يوسف) ملاك ..

(يوسف) كانت أمامه الأجنبيات من قبل فى الغردقة ، بل والمصريات أيضًا ..

هنا وهناك ، ومنهن من هى أجمل من أىِ أجنبية .. »

ـ هذا ما رددت به على كل من حذرنى من بقائك هناك .. ولم أخبرك حتّى .. دافعت عنك ..

لم تستطع منع اللوم من أن يصعد إلى عينيها ، وهى تكمل :

ـ كانت ثقتى فيك عمياء .. كنت فى نظرى ملاكًا .

ـ أنا مجرَّد بشر عادى .. لا ملاك ولا نبى .. لحم ودم .. لدىَّ مشاعر ورغبات .. هذا قدرى أرجوك .

- أنت بشر ! وأنا جماد ؟! أنت هناك معرض للمغريات ، وأنا هنا راهبة فى دير لا أختلط ببشر .

- أنت !!؟؟

ذهل لما يعنيه كلامها ، وقد أشعلت الغيرة فيه ، وملأت الحمية عروقه ، ولكنها قالت :

- نعم أنا .. أم تظن أن أحدًا لن يحاول التقرُّب منّى ، أو يطلبنى للزواج .

- وأنت مخطوبة ؟!!

ابتسمت ساخرة ، وقالت :

- لم أرَ أن الخطوبة قد منعتك من شىء لتمنع غيرك .. أم أن الخطويه منعتك ، وأنا لا أدرى وتزوجتها ، وأنت مُبق على خطوبتنا ومخلص لها .. تصدَّق لابد أنك فعلت .. ما التعارض بين أن تتزوج وأن تظل مخلصًا لى ؟!

لم يعهدها مريرة أو ساخرة هكذا .. حاول معها قائلاً :

- ألا يشفع لى ويزيد من ثقتك ، أن فى السنتين الماضيتين .. لم أفكَّر سوى فيك ، وفى عملى .

- ومن أين لى أن أصدّقك ؟

- (ونام) ؟!!

قالها بتمزق آلمه مقدار عدم ثقتها به :

- تعالى واسألى عنّى إذا لم تصدّقينى كل من فى الغردقة سيخبرونك .. يكفينا ما مضى .. يكفينا الآلام والجراح .. يكفينا أحلى سنوات عمرنا التى ذهبت .. سأستعيد ثقتك .

قالها بتصميم ، وعزيمة أثرت فيها ، وأكمل :

- وسأعوّضك عن كل هذه السنين ، وربى سأعوّضك .

أشارت إلى حقيبة النقود التى ما زالت فى مكانها بالصالون ، كما تركها يوم أن أعطاها لها ، وقالت :

- بماذا .. بهذه ؟

- لا .. ليس بالنقود .. النقود كانت محاولة لأراك مرَّة أخرى ..

النقود هى آخر شىء فكَّر فيه ، أراد أن يفهمها هذا ، فقال :

- هى مجرَّد حجة أمامك أو أمام نفسى ، لأحاول معك مرَّة أخرى ، بعد أن رفضتنى مرَّات ومرَّات .. عودى لى ،

وسأعوِّضك بحبى لك .. سأكرس نفسى لإسعادك وبناء أسرتنا .. أريد أن تحملى أطفالى، وتربيهم، وأن تكونى زوجتى، وأنيستى، فى الدنيا والآخرة .

سكت قليلاً ليرى تأثير كلامه عليها، كان هناك تجاوبًا ما تحاول أن تخفيه جاهدة .. لكنه لاحظه .. وكان يعرف من البداية أنه موجود، ثم أكمل :

ـ لا أصدِّق أن حبك لى قد ذهب .

ـ حبِّى ؟ ألم تكن تقول منذ قليل أنى لم أكن أحبك .

ـ كانت غمامة على عينى وذهبت، كان هاجسًا قد تملكنى فى لحظات مريرة مرَّت علىَّ، وجعلتنى أعمى عن حقيقة حبك وثقتك بى .. وإيثارك لى .. عن حقيقة إيمانك بى .. لا يمكن أن يكون كل هذا قد ذهب .

لم يخبرها أن دليل ذلك أنها لم تنسه، وأنها لم تقبل أيًا ممن تقدموا لها من بعده، كان يتتبع أخبارها، ويتمنَّى لو تعود له .. كانت فكرة زاوجها بآخر ستقضى عليه ..

سألته فى تردُّد :

ـ و (كارين) ؟

ـ صدِّقينى انتهت .. إنها لم تكن موجوده أصلاً .. لقد عادت .

نظرت إليه مندهشة وقد فاجأها ما قاله، فأكمل :

ـ نعم عادت، لكنى لم أنظر لها مرَّتين، ولا أنوى تكرار الخطأ .. لقد مسحتها هى وغيرها من حياتى .. (وئام) .. أعطنى فرصة لأثبت لك حبى، وأبيِّن أن ما حدث كان مجرد كبوة وقد دفعت ثمنها غاليًا .

* * *

نظرت له (وئام) .. كان يبدو صادقًا فى كل ما قاله .. لم تكن تريد أن تخدع نفسها .. ما زالت تحبه .

تزوج أو لا .

ما زال قلبها ينخطف كلما رأته .

أنفاسها تثقل وحلقها يجف ..

كل حركة .

أقل حركة يقوم بها تؤثر فيها .. وصوته يعذبها ..

كم اشتاقت إلى أن تسمع صوته مرّة ثانية .

لا شيء يعُدل عندها عودة المشاعر الحلوة بينهما ..

مشاعرها كما هى .. بل ولعلها زادت اشتعالاً فترة فراقه .

وكل شيء حولها يخبرها بأنها يحبها كالسابق ، وأكثر .

لكن .. لكن الاحترام ؟ والثقة ؟

هل تأمنه على نفسها ؟

هل تستطيع الثقة فيه ؟

ماذا يقول قلبها لها ؟

وماذا يقول عقلها ؟

أرادت من كل قلبها حدوث هذا ، احتاجته ليداوى جراحها ، فقد فشلت وحدها فى مداواتها ..

فشلت فى إيجاد السعادة وحدها .. فى إيجاد الاستقرار ، والأمان .

ظن أنها ستتغلب على مشاعرها نحوه بمرور الوقت ، ويكفيها التفكير فى خيانته لها ؛ لتكرهه ، أو لتنساه وتستمر فى حياتها .

لكن كل هذا لم يحدث .. ما حدث فى الحقيقة هو أن غضبها ذهب ..

كل مشاعرها السلبية تجاهه ذهبت ..

وبقى حبها له ..

وتعلقها به ..

بقيت سنوات الحب ..

تنهدت (وئام) فى عمق ، وأغمضت عينيها .

شعرت أن المشاعر التى تملأ صدرها تفيض عنه .

هل تسامحه ؟!

سؤال بلا معنى ، لأنها سامحته بالفعل ومن وقت طويل ..

السؤال هو .. هل تخبره بذلك وتعود إليه ؟

هل تعود إليه ؟

هذا هو السؤال الحقيقى ..

وعليها وحدها إيجاد إجابته .

[تمـــت]

زهور

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

صدر من هذه السلسلة :

1 - من أجلك .
2 - لا تقل وداعاً .
3 - قلوب لا تنبض .
4 - الدموع الباردة .
5 - هى فى حياتى .
6 - ياقلب لا تغفر .
7 - النبع الجاف .
8 - طيور بلا أجنحة .
9 - رسالة حب .
10 - لعبة القدر .
11 - العصفور الجريح .
12 - أشجار الحب .
13 - رحلة قلب .
14 - شمس الليل .
15 - الحب بلا أرقام .
16 - لقاء الحب .
17 - المرأة السوداء .
18 - حب وكراهية .
19 - وذاب الجليد .
20 - حب وسط النيران .
21 - دموع كيوبيد .
22 - أوهام الحب .
23 - نداء قلبى .
24 - حذار من الحب .
25 - الموعد .
26 - وداعاً يا حبى .
27 - حبى المعذب .
28 - لك قلبى .
29 - الحلم .
30 - زوجى .
31 - الحب والمعجزة .
32 - وداعاً للماضى .
33 - طائر غريب .
34 - هذا الرجل .
35 - التقينا من جديد .
36 - نسمة الصباح .
37 - لن أعود .
38 - الشريكان .
39 - أنت قدرى .
40 - بلا أمل .
41 - أحلام ضائعة .
42 - أبى الحبيب .
43 - الحاجز .
44 - لن أنساك .
45 - ستبقى فى قلبى .
46 - أحببتك فى صمت .
47 - رجل وقلبان .
48 - الحب الجريح .
49 - الحب والاختيار .
50 - وابتسمت الحياة .
51 - اللقاء الأخير .
52 - عودة الغائب .
53 - أمواج الحب .
54 - معك دائماً .
55 - اغفر لى .
56 - لقاء فى الغروب .
57 - جدار الماضى .
58 - لأنى أحبك .
59 - الأسيرة .
60 - مرحبا بالحب .
61 - شمعة لا تنطفئ .
62 - لا ترحلى .
63 - لمسة حب .
64 - الصديقتان .
65 - الوجه الدميم .
66 - خفقات قلب .
67 - جراح الماضى .
68 - حبيبتى الوحيدة
69 - آلام الحب .
70 - كفانا عناداً .
71 - رجل أحببته .
72 - نبع الحب .
73 - مشاعر دافئة .
74 - أشواك الحب .
75 - لن أبكى .
76 - قلوب حائرة .
77 - وداعاً للأبد .
78 - فتاة جميلة .
79 - قسوة وغفران .
80 - ليس من أجلى .
81 - سحابة صيف .
82 - زهرة برية .
83 - زهرتى الجميلة .
84 - ابتسامة القدر .
85 - لعبة الزمن .
86 - شاطئ الأمان .
87 - فجر جديد .
88 - حب وحرمان .
89 - ليل ونهار .
90 - سأنتظرك دائماً .
91 - بعد الانتظار .
92 - حب بلا موعد .
93 - زواج العمر .
94 - القرار الصعب .
95 - معنى السكوت .
96 - يارا .
97 - اغفر يا قلب .

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى





منى منصور

السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب أو الأم حرجاً من وجودها بالمنزل

97

اغفر ياقلب

أحب (يوسف) (وئام) وأحبته ..
وكانت على استعداد لأن تضحّى من أجله
بكل شىء ..
عندما تركها انهارت ..
وعندما عاد تساءلت ..
هل يغفر الحب ؟

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع



الثمن فى مصر ٢٥٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم